الإسرائيليون وأزمة الانتماء

دراسة نقدية في رواية הארץ שטה " أبحرت الأرض " للأديب الإسرائيلي " حاجاي داجان "

د.رامي عبد الحي محمد قابيل (*)

مقدمة

تتسم رواية **הארץ שטה** " أبحرت الأرض " (١) لـ " حاجاي داجان " **חגי דגן** (٢) بحبكة قصيرة مقتضبة تتمثل في اهتزاز سياسي عنيف يختلف إسرائيل – يُمثَّل له داخل النص بالزلزال – ويؤدي في النهاية إلى انتقالها جغرافياً من محيطها شرق الأوسطي ؛ وصولاً إلى ثلاثة أماكن مقترحة : ألمانيا ، والسويد والنرويج . وبعد تردد تستقر الأرض في النهاية في النرويج .. وهو تردد يُذكّر إلى حد بعيد بالتردد الذي انتاب الحركة الصهيونية بشأن الأرض المُخوّل لليهود الاستيطان بها وإقامة دولة : هل تكون أوغندا ، أم الأرجنتين أم العريش .. إلخ ، كما يُؤشر إلى إفلاس الصهيونية ، وحاجتها إلى أيديولوجيا جديدة تجمع الإسرائيليين على اختلافاتهم .

فهذا الطرح الجديد – لـ " إشكالية " سبق للصهيونية أن اجتازتها بالتأكيد على "فلسطين"، كدولة للكيان الصهيوني – يُؤطر للصعوبات التي أضحت تكتنف الوجود الإسرائيلي في هذا الموقع الجغرافي ؛ بما يستدعي التوقف لبرهة والتفكير في المآلات التي سيؤدي إليها الوضع الراهن ، في ظل استفحال الاستيطان في الضفة الغربية ، وانعكاس هذا

---

* – مدرس الأدب العبري الحديث والمعاصر –كلية الآداب – جامعة سوهاج .

الاستيطان على العلاقات بين الفلسطينيين والإسرائيليين من جهة ، والمتدينين والعلمانيين من جهة أخرى ، على نحو ما تبدّى بعد " فك الارتباط عن غزة " **ההתנתקות מעזה** سنة ٢٠٠٥ [٣] ، كما يُؤطر للاهتزاز العنيف الذي ألمّ بالعلاقة بين " الإسرائيلي " و " الأرض " في ضوء فشل الصهيونية في تحويل هذه الأرض إلى " ملاذ آمن " **מקלט בטוח** حقيقي ، يحول دون تكرار تجربة النازي .

ومن الجدير بالذكر أن رواية " أبحرت الأرض " لـ " حاجاي داجان " تُعد امتداداً فكرياً ومحاكاة لما سبق أن طرحه الروائي البرتغالي – الحائز على جائز نوبل للأدب سنة ١٩٩٨ – " جوزيه ساراماجو "Saramago José (١٩٢٢ – ٢٠١٠) في روايته La Balsa de Piedra " الطوف الحجري " (١٩٨٦) [٤] ، باعتراف " حاجاي داجان نفسه " ؛ كما يتضح من العبارة التي صدّر بها روايته : " معالجة جديدة للفكرة الأساسية في " الطوف الحجري " لساراماجو " [٥] . وهو ما يطرح منذ البداية تساؤلاً حول دوافع محاكاة " داجان" لهذا الأديب الذي هاجم إسرائيل بشدة أثناء زيارته لمدينة رام الله سنة ٢٠٠٢ ، حيث قال : " هذه هي المحرقة النازية التي يمارسها الجيش الإسرائيلي الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني، ورام الله المحاصرة تُذكّرني بمعسكر أوشفيتز النازي " [٦] .

وفي هذا الإطار تطرح الدراسة ثمة تساؤلات تسعى للإجابة عنها :

١ – ما الدوافع التي حدت بالأرض – وفقاً للرواية – إلى مغادرة محيطها شرق الأوسطي ؟ وهل لهذه الدوافع علاقة بالفلسطينيين ؟

٢ – ما الأسباب التي دفعت الأديب إلى اختيار " النرويج " كمكان الرسو الخيالي للأرض المبحرة ؟

٣ – هل تطرح الرواية رؤية جديدة لشكل العلاقة بين الإسرائيليين والفلسطينيين ، أو تصوراً ما لـ " سلام حقيقي " يمكن أن ينشأ بين الطرفين ؟

٤ – هل اختلفت العلاقة بين " الإسرائيلي " و " الأرض " بين الماضي والحاضر ، وإذا كانت ؛ فمن المسئول عن هذا الاختلاف ؟

وفي حدود علم الباحث فإنه لم يسبق تناول هذه الرواية في دراسات سابقة ، بيد أن الباحث استفاد من دراستين سابقتين تناولتا إشكاليتين قريبتين من إشكالية هذه الدراسة ، وهما : " جيل يبحث عن هوية : دراسة في قصة جبل المكبر للكاتب الإسرائيلي " عاموس عوز " " للدكتور " زين العابدين أبو خضرة " (٧) ، و " اغتراب الشخصية اليهودية في الأدب العبري الحديث " للدكتور " أحمد حماد " (٨) .

أما المنهج الذي يتبعه الباحث في هذه الدراسة فهو المنهج التحليلي النقدي ، الذي سيحاول من خلاله أن يضع يده على الإشكاليات التي تطرحها الرواية المعنية بالبحث . كما سيستعين الباحث أيضاً ، في مواضع متفرقة من البحث ، بالمنهج التاريخي ، والمنهج النفسي والمنهج الاجتماعي ؛ وفقاً لما ستمليه مستجدات الدراسة .

وسوف يعرض الباحث للدراسة في موضوع " الإسرائيليون وأزمة الانتماء : دراسة نقدية في رواية " أبحرت الأرض " للأديب الإسرائيلي " حاجاي داجان " " وفقاً للمحاور التالية :

أولاً : الإسرائيليون والعلاقة الهشّة بالأرض

ثانياً : فشل الصهيونية والبحث عن بديل

ثالثاً : الحل الكنعاني ووحدة المصير بين الفلسطينيين واليهود

ملخص الرواية

تهتز إسرائيل في رواية " أبحرت الأرض " لـ " حاجاي داجان " وتضطرب جرّاء الزلزال المدمر الذي يضرب بشدة الصدع السوري الأفريقي ، ويؤدي خيالياً – لأنه من الصعب تصور حدوث شيء كهذا في الواقع – إلى انفصال الدولة عن حدودها مع كلٍ من مصر ، وسوريا ، والأردن ولبنان ، وتحولها إلى سفينة بالمعنى الحرفي للكلمة . وكتالٍ لهذه الحبكة المغرقة في الخيال تُبحر الأرض / السفينة في البحر المتوسط وسط استغراب تام واندهاش كامل من سكانها ، وجهل مطلق بالوجهة التي تقصدها . وعندما تصل الأرض إلى مضيق جبل طارق فإنها تتجه جنوباً ، لكنها سرعان ما تَعدِل عن هذه الوجهة ، وتُعدّل دفتها – كالسفينة تماماً – متجهة شمالاً إلى الدول الإسكندنافية ، لترسو في النهاية في النرويج .

وتتكون رواية " أبحرت الأرض " من ثلاثة أجزاء ، يعرض جزؤها الأول ، الذي يحمل عنوان **הארץ רועדת** " الأرض تهتز " ، لشخصية الشاب " إيلعاد " **אלעד** ، العضو في كيبوتس " بيت جوڤرين " **בית גוברין** جنوب إسرائيل ؛ حيث تصله رسالة من زملائه السابقين في الكيبوتس يدعونه لمشاركتهم أحد اجتماعاتهم الدورية ، وهو ما يُفجّر الذكريات داخل نفس " إلعاد " عن نشأته في الكيبوتس ، وعلاقته مع زملائه ، خاصةً الفتاة التي أحبها وكان يدعوها باسم " ڤيوليتا " **ויולטה** ، والتي أمل أن يلتقيها في هذا اللقاء الدوري . كما يسلط هذا الجزء الضوء على شخصية " حاسيا " **חסיה** ، الموظفة في " متحف البالماح القومي " ، التي يعتريها " ذعر " من كارثة مقبلة ستحيق بإسرائيل ، حيث ترى رؤى تُبصر فيها قدوم " النازيين " ، وتأجج النيران في بحيرة طبرية و " اهتزاز " الأرض ثم تحركها من مكانها؛ وبسبب هذه الرؤى الكابوسية تنعزل " حاسيا " عن العالم المحيط ، وتتوقف عن تناول الطعام إلا بالقدر الذي يقيم أودها ، بل وتذهب أيضاً إلى إحدى شركات التأمين لتؤمن على ممتلكاتها .

ويتناول الجزء الثاني من الرواية ، الذي يأتي بعنوان **הארץ זזה** " الأرض تتحرك " ، تفاصيل اقتلاع الزلزال لإسرائيل من موقعها الجغرافي في الشرق الأوسط ، وتهيئتها للإبحار في مياه البحر المتوسط . كما يعرض هذا الجزء للتشابك في العلاقات بين الشخصيات المختلفة في الرواية ، والتقاطع في الأحداث بما يؤدي إلى الجمع بين المتدين والعلماني ، والفلسطيني والإسرائيلي ، في مشاهد حوارية كاشفة عن رؤية الشخصيات للدولة ، وواقعها الاجتماعي والسياسي .

وفي الجزء الأخير المعنون باسم **הארץ שטה** " الأرض تبحر " – وهو الجزء الأكثر إغراقاً في الخيال – تنطلق السفينة / الدولة في البحر المتوسط ، فالمحيط الأطلنطي ، حتى تستقر في النهاية على حدود دولة " النرويج " ، التي تستقبلها بحشد من الكائنات الخرافية المحلية المستقاة من المثولوجيا الإسكندنافية .

أولاً : الإسرائيليون والعلاقة الهشّة بالأرض

تُعتبر مصطلحات مثل " الشعب اليهودي " [٩] و " التحرير الذاتي " [١٠] و" معاداة السامية " [١١] من الركائز الرئيسة في الفكر الصهيوني منذ بداياته المبكرة ؛ بيد أن مثل هذه المصطلحات لم تكن لتحسم الخلاف ، بل والصراع ، مع " الصهيونيين الإقليميين " [١٢] – وعلى رأسهم " تيودور هرتسل " نفسه – الذين كانوا لا يجدون أية غضاضة في إقامة " دولة اليهود " ، وفق تعبير هرتسل ، في أي مُعطى جغرافي / سياسي تُمليه المفاوضات مع الدول العظمى في النصف الأول من القرن العشرين . ومن هنا كان اضطرار " الصهيونية العامة "[١٣] – العلمانية في أساسها – إلى استدعاء الدين إلى المشهد السياسي ، والتأكيد على مصطلحات مثل : " أرض إسرائيل " [١٤] و " الاستمرارية التاريخية " ، وادعاء وجود نوع من الحنين " السياسي " – الذي لم ينقطع طيلة ألفي عام – بين اليهودي و " أرضه " التي تنتظره حتى " يحررها " من " المحتلين " المتلاحقين ؛ الذين كان آخرهم العرب وفق الحبكة الصهيونية .. بل إن اليهودي نفسه ، وفق هذه الحبكة ، لا تتحقق يهوديته إلا بهجرته إلى "أرض إسرائيل " [١٥] ، حيث يتسق الإله مع ذاته ويكف عن اغترابه . وفي الواقع فقد كفل هذا الزعم انتصاراً سريعاً لـ " الصهيونية العامة " في ضوء سلسلة الوعود التي أطلقتها ، وتعهدت فيها بأن تصبح الدولة المزمع إنشاؤها " ملاذاً آمناً " و " نوراً للشعوب " ، حيث "أكدت الصهيونية المبكرة ، في نوع من الاستشراف المستقبلي ، أن اليهود سوف يحققون السيادة في فلسطين بكونهم حملة مشعل الحضارة الغربية المتقدمة ، وأنه حال نجاح المشروع الصهيوني ؛ فإن العرب ، وبقية الشرق الأدنى ، سوف يرحبون بالصهاينة كأصدقاء وحلفاء لهم " [١٦] .

ومن جانبها تقدم رواية " أبحرت الأرض " لـ " حاجاي داجان " رؤية " الإسرائيلي الجديد" – ابن القرن الحادي والعشرين – لـ " أرض الميعاد الإسرائيلية " ؛ كيف يراها ، طبيعة علاقته بها ، وهل لازال حنينه إليها قائماً ؟ لكن ، وعلى العكس من كل ما سبق ، تُصوّر " نيتع **נטע** – الشخصية المحورية في الرواية ، والناشطة والبيئية ، وصديقة " إلعاد "

بطل الرواية – إسرائيل باعتبارها " نبتة غريبة " **נטע זר** زُرعت في المكان الخطأ ، فيقول الراوي :

" נטע נזכרה באגדה ששמעה פעם מהמדריך בטיול של החברה להגנת הטבע . האגדה סיפרה על צמח שנטע כבר לא זכרה את שמו . לצמח הזה היה מראה מוזר ויוצא דופן והוא לא נראה שייך לנוף המקומי . לפי האגדה הוא היה יתום שהגיע ממקום אחר , רחוק . הוא הסתובב בכל העולם כדי לחפש את ההורים שלו עד שבסופו של דבר הוא התייאש , הפך לצמח והכה שורשים קצרים ורופפים בארץ . לכן ראשו כפוף , כי הוא עצוב על הוריו שלא נמצאו . רק בשעת הלילה האחרונה הוא זוקף את ראשו ופונה לארבע רוחות השמים בחיפוש אחרי הוריו " [١٧] .

" تذكرت نيتع الأسطورة التي سمعتها ذات مرة من المرشد في إحدى رحلات جمعية الحفاظ على الطبيعة . كانت الأسطورة تتحدث عن نبتة ، لم تَعد نيتع تتذكر اسمها . كان شكل هذه النبتة شاذاً ومختلفاً ، وبدت مفارقة لمحيطها المكاني . ووفقاً للأسطورة كانت هذه النبتة يتيماً قدم إلى هنا من مكان آخر بعيد ، وطاف العالم بأسره بحثاً عن والديه ، إلى أن أصابه اليأس في النهاية ؛ فتحول إلى نبته ، وضرب جذوراً قصيرة وواهية في الأرض . ولذلك رأسه منحنية ؛ لأنه حزين على والديه اللذين لم يعثر عليهما . ولا يرفع رأسه سوى في الساعات المتأخرة من الليل ، يتلفت في جهات السماء الأربع بحثاً عن والديه " .

والإحالة هنا إلى " الصبّار " **הצבר** ، تلك النبتة الغريبة على البيئة الفلسطينية كما يقول عالم الاجتماع الإسرائيلي " عوز ألموج " **עוז אלמוג** : " ومن المثير للسخرية أن الصبار ، أو الصبار الكمثري الشائك ، ليس موطنه إسرائيل ؛ إذ تم إحضاره إلى هنا من أمريكا الوسطى قبل حوالي مائتي عام ، لكنه سرعان ما تأقلم ، وضرب بجذوره جيداً في فلسطين ، لدرجة أنه أصبح أحد المعالم المعروفة في الدولة " [١٨] . ورغم أن " الصبار " يرمز تاريخياً

إلى " جيل البالماح " [١٩] منقطع الجذور بالماضي ، كما يقول دكتور " رشاد الشامي " : " في الميثولوجيا الصبارية يجب أن ينمو " الصبار " دون آباء ، ودون أسرة ، ودون سلسلة أنساب ؛ لأن آباءه هم نتاج الشتات ... وبالفعل فإن " الصبار الراقي " يظهر في " الأدب العبري الفلسطيني " الخاص بجيل " البالماح " (سرايا الصاعقة) والذي تولى هذا النموذج بحب وإخلاص " [٢٠] – فإن نص " أبحرت الأرض " يستخدمه كرمز لدولة إسرائيل ، التي أضحت تشعر الآن بالغربة في محيطها المكاني في الشرق الأوسط . وهو ما يتناقض تماماً مع الأيديولوجيا الصهيونية التي اعتبرت الأرض في حالة حنين دائم إلى اليهودي الذي سيأتي ويُخلّصها ، كما تقول دكتورة " إيلا شوحيط " אלה שוחט ، أستاذ الدراسات الثقافية في جامعة نيويورك : " انتهجت إسرائيل سياسة استعمارية إزاء الشعب الفلسطيني وأرضه ، وطوّرت خطاباً مؤسسياً استعمارياً واضحاً ، ولم يكن صدفة أن تظهر صورة فلسطين في الكتابات الصهيونية كصحراء جرداء تشتاق للخلاص ، وتنتظر فتح اليهودي الحالوتسي لها"[٢١]. وفي المقابل يُصوّر " داجان " فشل الصهيونية عبر إبرازه لشعور الأرض بالاغتراب، والحنين العكسي إلى أوروبا الباردة .

وفي الواقع فإن هذا يتطابق إلى حد كبير مع ما يقوله الباحث النرويجي " نيلز أ. بينتينشن " Nils A. Butenschon ، أستاذ العلاقات الدولية في جامعة أوسلو : " تستبعد العديد من الدراسات عن الشرق الأوسط ، كنظام إقليمي ، دولة إسرائيل كليةً ، وهي تفعل ذلك من قبيل المواءمة ؛ حيث إن معظم الاستقراءات عن الأنماط المؤسسية ، والأنماط الثقافية والاجتماعية في المنطقة ، سرعان ما تلحق بها عبارة " ... باستثناء إسرائيل " ... ولسنا في حاجة إلى دليل عملي حتى نقرر أنه ما من شيء يربط بين إسرائيل والشرق الأوسط – بصرف النظر عن التقليد الجغرافي للمصطلح الذي نستخدمه – سوى الصدفة الجغرافية"[٢٢] .

يهود الشرق وأزمة الانتماء

فتبدو الأرض هنا كما لو أنها تشعر بـ " الاغتراب " ، وتعاني من حالة " فقدان هوية " ، وتحن إلى " موطنها الأصلي " الذي لا تعرفه . لكنها ليست وحدها ، بل إن الإسرائيليين أيضاً يعانون من وضعية مشابهة ، ولذلك ، عندما تقرر الأرض – خيالياً – أن تفك الارتباط – وأن تنخلع من محيطها شرق الأوسطي ، مبحرةً في البحر المتوسط ، كأنها في رحلة بحث عن ذاتها ، عن كينونتها ، عن الهوية التي تبتغيها لكيانها – فإن الإسرائيليين الشرقيين ، الذين يعانون مثلها من ذلك الاغتراب النفسي المكاني ، يحنون إلى وطنهم الأصلي ، وطنهم " الطبيعي " ، وقد صاروا لا يعقلون السبب الذي دعاهم إلى مغادرته من الأساس :

" **והארץ הוסיפה לחתור במים , לשוט מכאן והלאה ... לשוט בשקט בחושך , להימנע מספינות השודדים הסיציליאניות , לא להתקרב יותר מדי לחופים של קרתגו , אף כי המעבר ליד חופי תוניס ומרוקו עורר בקרב יוצאי הארצות האלה המיה של ריגוש . מלך מרוקו שלח ספינות והזמין את יהודי ארצו לחזור ולהתיישב בה , ובאמת היו כאלה ששמחו לרדת מן הארץ הנוסעת ולעשות זאת , לא לציון האבודה והמשולחת הזאת פיללו כשעזבו הכל ונדחקו לעלות לארץ הקודש** " [٢٣] .

" وواصلت الأرض تجديفها في الماء ، الإبحار بعيداً عن هنا ... الإبحار بهدوء في الظلام ؛ تحاشياً لسفن القراصنة الصقليين ، مع عدم الاقتراب كثيراً من سواحل قرطاجة ، رغم أن المرور بقرب سواحل تونس والمغرب كان يُثير وسط النازحين من هذه البلدان هديراً من الانفعال الشديد . وأرسل ملك المغرب سفناً ، ودعا يهود بلاده للعودة والاستقرار بها من جديد ، وفي الواقع فقد استقبل بعضهم هذه الدعوة بالهبوط من هذه الأرض المسافرة بسعادة غامرة ؛ فهذه الأرض المنبوذة الضائعة ليست صهيون التي صلّوا من أجلها ، صهيون التي تركوا من أجلها كل شيء ، وتسابقوا على الهجرة إلى الأرض المقدسة " .

فالحركة الصهيونية استثمرت العاطفة الدينية عند اليهود المغاربة ، وحاولت تسويق " فلسطين " باعتبارها " أرض الميعاد " ، عبر خلع قداسة مسيحانية كاذبة عليها ؛ من أجل حمل يهود المغرب على الهجرة إليها ، كما يقول دكتور " أحمد الشحات هيكل " : " نظراً لأن فكرة الخلاص المسيحاني كانت تسيطر على شريحة كبيرة من المجتمع اليهودي المغربي، ومعظمهم من أبناء الطبقة الفقيرة ، فقد أدى الإعلان الدراماتيكي لإقامة دولة إسرائيل ، الذي ارتبط في الوعي العام " لليهود التقليديين " بتنفيذ حلم الأنبياء ؛ إلى تدفق يهود المغرب على فلسطين الجديدة ، يحدوهم الخيال أنهم يطيرون على أجنحة الحلم المسيحاني . وكانت هجرتهم بعيدة تماماً عن أية دوافع أيديولوجية ، وكأنما كانت هجرتهم بمثابة فرض ديني " [٢٤] ، بيد أنهم يكتشفون الآن ، داخل الرواية ، كذب هذا الادعاء الصهيوني .

فالآن ، والآن فقط ، وبعد مرور ما يزيد على نصف قرن من " الهجرة الجماهيرية " **העלייה ההמונית** ليهود الشرق إلى إسرائيل ؛ ها هم يراجعون مواقفهم من كل ما ادعته الصهيونية عن " أرض الميعاد " و " التحرير الذاتي " ، وكل الشعارات التي ثبت زيفها ، وها هم يهود المغرب يكتشفون فجأة أن حياتهم في " المغرب " كانت " أفضل " ، وأن " المغاربة " كانوا إخوتهم في الوطن ، وأن هويتهم الحقيقية هناك ، وليس هنا في فلسطين ، التي خُلعت عليها القداسة الصهيونية المزيفة :

" **ועכשיו כבר לא ברור בכלל מה קודש ומה חול כשהארץ שטה לה בימות הגויים אל הלא נודע , והמלך הבטיח חסות ותנאים טובים , לך תדע , סוף כל סוף כאן קבורים כל-כך הרבה אבות וזקנים וצדיקים ועושי נסים ונפלאות וקדושים וטהורים , והיחסים עם הערבים היו בסך הכל די טובים בדרך כלל , היו באים אלינו לאכול , האמינו באותם שדים ורוחות** " [٢٥] .

" أمّا الآن فلم تعد تُعرف الحدود الفاصلة بين القداسة والدنس حيثما تُبحر الأرض مع نفسها في بحيرات الجوييم إلى المجهول ، حيث تعهد الملك بالحماية وتوفير سبل الحياة الطيبة ، ربما ، ففي نهاية المطاف توجد هنا أعداد لا حصر لها من قبور الآباء والشيوخ والصديقين وأصحاب المعجزات والكرامات والأتقياء والأنقياء ، كما كانت العلاقات مع العرب طيبة جداً في المجمل ، فكانوا يأتون ليأكلوا معنا ، ويؤمنون بالأرواح والشياطين نفسها " .

ويمكن أن نقارن هذه العلاقات الطيبة – التي يصفها النص – بين اليهود المغاربة والآخر غير اليهودي في المغرب بما تقوله دكتورة " إيلا شوحيط " عن وضع اليهود الشرقيين ، ومن ضمنهم المغاربة ، بعد هجرتهم إلى إسرائيل : " أدى الإنكار الصهيوني للشرق الفلسطيني والعربي إلى إنكار ورفض مماثل للمزراحيم اليهود (اليهود الشرقيين) ، وهو رفض يشبه الرفض للفلسطينيين ، لكن بآليات أكثر اتقاناً ، وأقل عنفاً من الناحية الظاهرية " [٢٦] .. فعبر هذه المقارنة يمكن أن نفهم كم الإحباط واليأس الذي اكتنف يهود الشرق بعد هجرتهم الجماهيرية إلى إسرائيل في الخمسينيات .

الأوطان البديلة ونقد إسرائيل

وعلى العكس من اليهود الشرقيين الذين يختارون الآن وطنهم السابق بمحض إرادتهم ، بعد أن قسرتهم الحركة الصهيونية في الماضي على الهجرة منه عبر تدميرها لعلاقتهم بمحيطهم المكاني بـ " الإرهاب " و " الدعاية الصهيونية " و " الاتفاقيات السرية مع بعض الأنظمة الحاكمة في الدول العربية " – فإن " زوسمان " זוסמן و " تسوكرمان " צוקרמן – مندوبا التأمين الإسرائيليان – يختاران الهجرة إلى مكان لا تربطهما به أية صلة ، مكان يصبح فيه الانتماء على أساس " المواطنة " אזרחות ، لا على أساس " العرق " أو " اللون " أو " اللغة " أو " الدين " ، على نحو ما يخبر " تسوكرمان " صديقه " زوسمان " :

" **מתאים לי קנדה , אמר צוקרמן , זה מקום נייטרלי לגמרי שאין לי שום יחס אליו . נשבר לי מיחס . שמה לרחובות יהיו שמות כמו דאגלס או רד קריק ולא נחצולי הגרדום או טבוחי סלובובקה . שמה הרחובות יהיו רק רחובות והבתים רק בתים והנוף רק נוף** " [٢٧] .

" تروقني كندا ، قال تسوكرمان ، ثمة مكان محايد لا تربطنا به علاقة من أي نوع . سئمت من العلاقة . هناك ستكون للشوارع أسماء مثل دوجلاس أو ريد كلارك ، وليس الناجين من المشنقة أو مذبوحي سلوڤوڤكا . الشوارع هناك ستكون مجرد شوارع ، والبيوت مجرد بيوت والمناظر الطبيعية مجرد مناظر طبيعية " .

ويمكن أن نفهم دوافع " زوسمان " و " تسوكرمان " في ضوء حقيقة أن الملابسات والظروف التي أدت إلى ظهور الصهيونية لم تعد قائمة اليوم ، فـ " معاداة السامية " ، وفق الحبكة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، لم تعد موجودة ، ويستطيع اليهودي اليوم أن يتمتع بـ " مواطنة كاملة " **אזרחות שלמה** في أية دولة من الدول الأوروبية [٢٨] ، كما أن دولة إسرائيل لن تضمن لهذا اليهودي الإسرائيلي الإحساس بالأمن والأمان ، بل " إن الذين يتعرضون للتهديد هم يهود إسرائيل ، الذين خاضوا على امتداد السنوات الماضية ستة حروب وكونوا قوة عسكرية ضخمة تتمثل في الجيش الإسرائيلي ، ومع ذلك لم يختفِ التهديد الذي يتعرضون له ؛ لأن الاعتماد على القوة العسكرية لن يحل أية مشكلة " [٢٩] . وفي الواقع فإن هذه المراجعات للطرح الصهيوني ، الذي كان يُعتبر في وقت ما من المسلمات ، لا تقتصر فقط على أفكار مثل " معاداة السامية " ، وأن إسرائيل هي الملاذ والملجأ الآمن الذي لم تتكرر معه التجربة النازية مرة أخرى ، أو أن اليهودي لن يغدو يهودياً كاملاً إلا بعد هجرته إلى إسرائيل ؛ لكنها تنسحب أيضاً على فكرة " الشعب اليهودي " ذاتها ، كما يقول دكتور " نوعم بيانكو " Noam Pianko ، أستاذ الدراسات اليهودية في جامعة واشنطن : " يبدو اليهود المعاصرون أقل التزاماً بفكرة القومية من الأجيال السابقة ، كما أن الخطاب العام السائد عن " القومية

اليهودية " يعتبر هذا التحول بمثابة جرس إنذار يُحذّر من الانحدار الدرامي في الهوية الجماعية اليهودية ، بكل ما يحمله ذلك من آثار سلبية على الاستمرارية اليهودية " [٣٠] .

فلقد سئما " زوسمان " و " تسوكرمان " من السياق التاريخي / الديني الذي ادعته الصهيونية عند اختيارها لـ " فلسطين " كـ " وطن " لليهود ، وكأنهما لو عاد بهما الزمن ، وأُتيحت لهما فرصة الاختيار ، لكانا سيُفضلان " أوغندا " أو " الأرجنتين " ، مكاناً لا تربطهما به أية صلة ، ويُخوّلهما إقامة " ديمقراطية ليبرالية " به ، على غرار "كندا " . وبالمثل يختار " إلعاد " السويد " موطناً له ، ويعتريه حنين شديد إليها :

" **אבל בינתיים המשיך אלעד להסתובב בארץ הזאת שהיתה פחות ופחות שלו , שהכיר פחות ופחות , וכבש את זכרונותיו שכמו נכתבו בשפה נכחדת בתוכו . לפעמים חשב על עצמו כעל מין שוודי שנקלע לכאן בטעות** " [٣١] .

" أما الآن فقد واصل إلعاد تجواله في هذه الأرض التي أضحت أقل فأقل له ، وصار يعرفها أقل فأقل ؛ كابتاً ذكرياته بداخله ، كأنما قد كُتبت بلغة منقرضة . وكان ينظر إلى نفسه في بعض الأحيان كما لو كان سويدياً أُلقي به إلى هنا بالخطأ " .

إن اختيار " إلعاد " للسويد يكشف ضمنياً عن موقفه الرافض لسياسات إسرائيل العدوانية تجاه الفلسطينيين ؛ وذلك عبر اختياره لدولة تناصب إسرائيل العداء في كل المحافل الدولية؛ اعتراضاً منها على هذه السياسات .. كما لو أنه يتنبأ بأن مصير إسرائيل سيتراوح ، إن ظلت على نهجها مع الفلسطينيين ، بين العزلة أو فرض عقوبات دولية على غرار " جنوب أفريقيا". ويعود الباحث الإسرائيلي الأمريكي " ديڤيد مئير ليڤي " David Meir-Levi ببداية اهتزاز صورة إسرائيل الدولية إلى العام ١٩٦٧ ، فيقول : " في يونية ١٩٦٧ كان هناك إجماع في الرأي العام العالمي على أن إسرائيل كانت المجني عليها في عدوان حرب الأيام الستة ، وأن انتصارها السريع في هذا الصراع كان دفاعاً عن النفس . غير أن صنّاع الأساطير العرب هاجموا في الأعوام التي تلت ذلك هذه الحقائق الأساسية للحرب ، وذلك في معرض سعيهم

لتصوير إسرائيل باعتبارها وجود " فاشي " في الشرق الأوسط ، وفي معرض نسجهم لحبكة الاحتلال الإسرائيلي الممتد على مدار أربعة عقود . ولقد نجحوا في دعايتهم هذه إلى حد كبير " [٣٢] . وفي المقابل يرى الباحثان الإسرائيليان " يهودا بن مئير " **יהודה בן מאיר** و" إيڤان ألترمان " **אוון אלתרמן** في هذه المساعي الدولية لتحجيم الممارسات الإسرائيلية العنصرية ضد الفلسطينيين محاولة لما يُسمونه " نزع الشرعية عن إسرائيل " **דה – לגיטימציה** ، فيقولان : " كان الحدث الرئيس المؤثر بشكل حاسم على توجه وحجم مساعي نزع الشرعية هو هزيمة العرب في حرب الأيام الستة (١٩٦٧) واحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة ؛ إذ مثّل وجود ثلاثة ملايين فلسطيني لا يعيشون في دولتهم الخاصة بهم، وخاضعين منذ سنوات عديدة للسلطة العسكرية الإسرائيلية بدرجات متفاوتة – عنصراً جوهرياً في حملة نزع الشرعية هذه . وسواءً كانت هذه مجرد حجة ، أو كان هذا هو واقع الحال ، فإن " الاحتلال " أضحى الشعار المُوحّد لمعظم مساعي نزع الشرعية " [٣٣] . وفي هذا السياق يمكن النظر إلى " السويد " باعتبارها من أكثر الدول الأوروبية معارضة لإسرائيل على المستوى الدولي ، كما يقول الباحث الفلسطيني " عاطف أبو سيف " : " يمكن تصنيف السويد ضمن مجموعة الدول الأوروبية الأقل تعاطفاً مع إسرائيل تاريخياً ، رغم وجود علاقات سياسية وتجارية بينهما منذ البداية ... وتقوم السويد ، من خلال عملها في الاتحاد الأوروبي، بدفع زملائها الأوروبيين إلى تبني مواقف أكثر انتقاداً لإسرائيل " [٣٤] . فالسويد تُحمّل إسرائيل ، ليس فقط مسئولية تردي الأوضاع المعيشية للفلسطينيين ، أو حتى اهتزاز الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط ، لكن أيضاً مسئولية الهجمات الإرهابية التي تطال عدداً من الدول الأوروبية ؛ بسبب سياساتها تجاه الفلسطينيين [٣٥] . وعلى هذا النحو فإن إمكانية " عزل إسرائيل " دولياً تظل قائمة ، خاصةً في ظل وجود " سابقة " دولية تمثّلت في صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٣٣٧٩ في العاشر من نوفمبر ١٩٧٥ باعتبار " الصهيونية شكلاً من أشكال التمييز والعنصرية " ، ورغم أن هذا القرار تم إلغاؤه في

السادس عشر من ديسمبر ١٩٩١ [٣٦] ؛ إلا أن حقيقة صدوره تمثل تهديداً مستقبلياً لإسرائيل ؛ لأنها قد تتكرر مرة أخرى في ظل ملابسات وظروف معينة .

ولكي يؤكد " حاجاي داجان " ضعف وهشاشة العلاقة بين الإسرائيليين و " الأرض " فإنه يعود إلى الماضي ، ويُسلّط الضوء على رؤية " أم إلعاد " ، المهاجرة الصهيونية وابنة الكيبوتس والمقاتلة في صفوف " البالماح " ، لما تسميه الصهيونية " أرض إسرائيل " ؛ كاشفاً عن أسباب هجرتها إلى " أرض الميعاد " :

" מה שמוזר זה שהיא בכלל לא באה הנה מתוך אידיאולוגיה . היא פשוט רצתה קצת אקשן . היא היתה נערה משולהבת שחיפשה פעילות וריגוש . זה מה שהפעולות בשומר הצעיר נתנו לה , ואחר-כך הנסיעה דרך כל אירופה במשאיות מכוסות ברזנט , הסודיות , המסמכים המפוברקים , ההונאה של השומרים בגבולות ... כמו סיפור הרפתקאות לילדים ... נראה לי שהריקודים היו החלק שהיא הכי אהבה בכל הסיפור הציוני הזה ...

אני לא מאמינה .

גם אני לא .

היא לא התגעגעה הביתה ?

כן , התגעגעה . למרות שלא כל-כך ברור מה זה הבית . הבית נשאר בגליציה , בעיירה הקטנה שהם ברחו ממנה " [٣٧] .

" الغريب في الأمر أنها لم تأتِ إلى هنا مدفوعة إطلاقاً بالأيديولوجيا . أرادت فقط بعض الإثارة . كانت فتاة متحمسة تبحث عن الإثارة والحركة . وهذه الحركة وفّرها لها تنظيم الحارس الصغير ، ثم بعد ذلك الفرار في شاحنة مُغطّاة بالمشمع عبر كل أوروبا ، السرية ، الوثائق المزيفة ، خداع حرس الحدود ... كأنها قصة مغامرات للأطفال ... يبدو لي أن الرقص كان أكثر شيء أحبته في كل القصة الصهيونية هذه ...

لا أصدق .

ولا حتى أنا .

ألم تحن إلى الوطن ؟

بلى ، حنّت . لكن كلمة وطن لم تكن على ذلك القدر من الوضوح . إذ ظل الوطن هو ذلك الذي في جاليسيا ، في البلدة الصغيرة التي هربوا منها " .

إن " داجان " يحاول في هذا السياق أن ينقض إحدى الركائز الأساسية في الفكر الصهيوني ؛ أي الادعاء بخصوصية العلاقة بين اليهودي وما تدعوه الصهيونية " أرض إسرائيل" ، عبر تصويره لضعف الارتباط بين " المهاجرين " الذين كَوّنوا النواة الصلبة للدولة والفكرة الصهيونية ، فإذا كانت هذه النواة هشّة وضعيفة من الناحية الأيديولوجية ، سيسهل حينئذٍ تصور مقدار ضعف الانتماء لدى الأجيال اللاحقة . وفي معرض تأكيدهما على أهمية المهاجرين الأوائل بالنسبة للدولة الإسرائيلية يقول الباحثان الإسرائيليان " إفرايم يعر " **אפרים יער** و " زئيف شڤيط " **זאב שביט** : " لم يتكون المجتمع الإسرائيلي من العدم، لكنه تطور عن المجتمع اليهودي غير المستقل الذي نشأ في " أرض إسرائيل " في فترة الانتداب البريطاني ، وأُطلق عليه اسم " اليشوڤ " أو " المجتمع اليشوڤي " " [٣٨] . ولكي يسخر الأديب من دوافع الهجرة الصهيونية فإنه يختار أوهى الأسباب ، ويقدمها كدافع لهجرة " والدة إلعاد " ، المقاتلة في صفوف البالماح ، ويتجاهل عن عمد ، بقصد السخرية ، السبب الرئيس لهجرة الناجين من " أحداث النازي " ؛ وهو الخوف من النازية والصهيونية في ذات الآن ، كما يقول دكتور " جمال الشاذلي " ودكتورة " نجلاء رأفت " : " علاوة على أن السواد الأعظم من اليهود قد اضطر تحت ضغط الصهيونية والنازية إلى تأييد الصهيونية التي أقنعته بأنها ستكون المسيح المخلص له ، ومن هنا لم تستطع هذه الفئة أن تصمد طويلاً في مواجهة الصهيونية والنازية ؛ حيث كان هدفهما يتمثل في الضغط على اليهود وإجبارهم على الهجرة إلى فلسطين " [٣٩] . وفي الإطار ذاته يُعد إغراق الحركة الصهيونية للباخرة " باتريا " Patria ، التي كانت تحمل لاجئين يهوداً في الطريق إلى إحدى

المستعمرات البريطانية سنة ١٩٤٠ [٤٠] ، دليلاً واضحاً على العنف الذي مارسته الحركة الصهيونية ضد " الناجين من أحداث النازي ؛ من أجل حملهم قسراً على الهجرة إلى فلسطين .

الحريديم والاستعداد المبكر للرحيل

ووفق هذه الرؤية التي تنظر إلى " إسرائيل " و " الإسرائيليين " باعتبارهم " نبتة غريبة " لا تنتمي إلى هنا ، ولا تضرب بجذورها في المكان ؛ فإن الرواية تقدم رؤية مختلفة لأسباب ارتداء " الحريديم " لملابسهم التي تنتمي إلى أوروبا الباردة ، أوروبا العصور الوسطى ، أكثر من انتمائها إلى محيطهم المكاني في الشرق الأوسط ، ويركز النص تحديداً على " الحذاء"، حذاء " اليهودي المتجول " الذي يدرك أنه راحل لا محالة عن هنا / فلسطين ؛ ولذلك حرص منذ البداية على التمسك بحذائه القديم :

" אמר סבא שלו פעם : הבן-אדם צריך שיהיו לו נעליים טובות כי הוא אף פעם לא יודע מתי הוא יצטרך להתחיל ללכת ימים שלמים בשלג . אז זהו , לא חדירות לשלג , אפילו בארץ הזאת שאין בה שלג צריך שהן לא יהיו חדירות לשלג . פעם צוקרמן אמר לו שהחרדים נתקעו עם הבגדים האלה מאוקרניה של המאה השבע-עשרה לא משום שהם מקובעים ותקועים אלא מפני שהם יודעים שאפילו כאן במדבר הזה אף פעם אי אפשר לדעת מתי פתאום יתחיל לרדת שלג והקוקזים יגיעו עם השלג , כי איפה שיש שלג יש קוקזים , ולפני שמישהו יבין מה קורה כבר יצטרכו לשים הכל בחיפזון על העגלה , לרתום את הסוס הכתוש , לחפש את העגלון השיכור ולהתחיל לנסוע , והכי חשוב הנעליים , כי מה אתה שווה בשלג בלי נעליים טובות ? " [٤١] .

" قال جده ذات مرة : يحتاج المرء امتلاك حذاء جيد ؛ لأنه لا يعرف أبداً متى سيضطر للبدء في السير لأيام طويلة في الثلج ، فلا يغوص حذاؤه حينها فيه ، وحتى في هذا البلد

الذي لا يوجد به ثلج ، على الحذاء ألا ينغرز في الثلج . وذات مرة أخبره تسوكرمان أن الحريديم لم يَعلقوا مع هذه الملابس الأوكرانية من القرن السابع عشر عن عجز وقلة حيلة ؛ لكن لأنهم يعرفون أنه حتى في هذه الصحراء لا يمكن أن تعرف أبداً متى سيبدأ الثلج فجأة في السقوط حاملاً معه القوقازيين إلى هنا ، فحيثما يوجد ثلج يوجد قوقازيون ، وقبل أن يفهم أحد ما يحدث سيُضطرون حقاً إلى وضع كل شيء بسرعة على العربة ، وإلى شد لجام الحصان الهزيل ، وإلى البحث عن الحوذي الأجير والبدء في الترحال ، فأهم شيء هو الحذاء ؛ إذ هل تساوي شيئاً في الثلج بدون حذاء جيد ؟ " .

وفي الواقع فإن التفسير السابق يتسق إلى حد كبير مع دوافع هجرة الحريديم إلى إسرائيل، حيث لم تصدر هذه الهجرة عن دوافع أيديولوجية ، لكنها جاءت تحت وطأة "أحداث النازي " ، أو استشعار احتمالية وقوع هذه الأحداث مع صعود النازيين للحكم سنة ١٩٣٣ . فالحريديم كانوا يرفضون منذ البداية مساعي الصهيونية إلى إقامة " دولة يهودية " في فلسطين ، لكنها فقط " أحداث النازي " هي التي اضطرتهم إلى مخالفة أحكام الشريعة اليهودية التي تحظر على اليهود الهجرة الجماعية إلى " أرض إسرائيل " ، ومحاولة إقامة " مملكة يهودية " قبل مجئ " المسيح المخلص " [٤٢] . فـ " المحنة النازية " و " الوعد الصهيوني " بعدم تكرارها ، وأن تغدو إسرائيل ملاذا وملجأً آمناً ؛ هما اللذان دفعا الحريديم ، وبعض " الناجين من أحداث النازي " **נצולי השואה** بشكل عام ، إلى الهجرة إلى فلسطين . لكن ، وبمرور الوقت ، اتضح كذب هذا " الادعاء الصهيوني " ، حيث أضحت إسرائيل مكاناً يضج بالصراعات ، ويشي باحتمالية تكرار " تجربة النازي " من جديد ؛ الأمر الذي أعاد طرح فكرة " التجوال " و " الرحيل " من جديد ، فيقول دكتور " أحمد حماد " : " وهكذا نصل من خلال هذا العرض لظروف أحداث النازي وعلاقة اليهود الناجين منها بإسرائيل ، إلى إبراز حالة من الاغتراب لدى اليهودي في فلسطين . فلا هو تخلص من ماضيه ، ولا هو تأقلم مع واقعه الجديد . الأمر الذي دفع الكثيرين منهم إلى مواصلة الرحلة

من جديد بحثاً عن هوية خاصة بهم بعد الإحباط الذي أصابهم من الواقع الجديد في فلسطين " (٤٣) .

فعبر هذه الاستعراض لـ " هشاشة " العلاقة بين " الإسرائيلي " و " الأرض " – التي ادّعت الصهيونية أن اليهود ما فتئوا يحلمون بالعودة السياسية إليها طيلة ألفي عام – يتضح أن حسابات الحركة الصهيونية كان ينقصها الكثير من الدقة ، وأن هناك شيئاً خاطئاً في هذه الحسابات . لكن يظل السؤال الأهم : هل تُحمّل الرواية الحركة الصهيونية مسئولية تدمير العلاقة بين الإسرائيليين والأرض ؟ .

ثانياً : فشل الصهيونية والبحث عن بديل

يمكن النظر إلى فكرة " الرحيل " ومفارقة الأرض لواقعها الجغرافي ، داخل الرواية ، باعتباره نوعاً من التمرد أو الرفض من قبل الأديب للواقع الإسرائيلي الراهن ، وما أفضى إليه التطبيق الخاطئ للصهيونية – من وجهة نظر بعض الإسرائيليين – من صراعات ممتدة ، سواءً بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، أو بين الإسرائيليين بعضهم بعضاً ، أو بين الإسرائيليين ومحيطهم العربي . فإسرائيل من وجهة نظر " داجان " دولة ضلّت طريقها وانحرفت عن مبادئ " الصهيونية العلمانية " ؛ فصارت أشبه بسفينة فضاء ضائعة في الفراغ ، وفاقدة للأيديولوجيا المحرّكة لها ، فيقول الراوي :

" כעת נזכר בחללית שמסלולה השתבש , שכל המערכות בה יצאו מכלל איפוס – הצמחים האורגניים התפשטו והיו לג'ונגל , החיות יצאו מכלוביהן והתרבו – ולא נותר בה איש שיזכור מה היה היעד המקורי , ומהו בכלל העולם המוזר הזה המשייט כממלכה בתוך ממלכה בחלל , בחללית שממשיכה לנוע כמין כאוס קטן ומטורף שיצא מכלל שליטה והוא גדל פרא בנצח האכזרי והריק , עולם משולח שכל חוקיו והיגיונותיו המכוננים נשמטים ממנו " (٤٤) .

" تذكّر الآن سفينة الفضاء التي ضلّت طريقها ، والتي انحرفت كل أنظمة العمل بداخلها عن مسارها – فتمددت النباتات العضوية وأصبحت غابة ، وخرجت الحيوانات من أقفاصها وتكاثرت – ولم يتبقَ بها أحد يتذكر الهدف الأصلي ، وكُنه هذا العالم الغامض الذي يُبحر كمملكة في داخل مملكة في الفضاء ، في سفينة فضاء تواصل الحركة فيما يشبه الفوضى الصغيرة والمجنونة التي خرجت عن السيطرة ، فنما بشكل عشوائي وسط الخلود القاسي والفراغ عالمٌ مهجور فارقته كل قوانينه ومنطقياته المؤسسة " .

وفي هذا السياق يقول الدكتور " يوسف جورني " **יוסף גורני** ، أستاذ تاريخ " شعب إسرائيل " في جامعة تل أبيب : " عندما نُجري تقييماً للصهيونية ، ما أرادت أن تحققه ، وما حققته ، كيفما ينعكس اليوم في دولة إسرائيل ، يغريني القول : إن الصهيونية كانت صفقة خاسرة **מיקח טעות** . أرادت أن تحقق الأمن للشعب اليهودي ، فإذا بالمكان الأقل أمناً لليهود اليوم هو دولة إسرائيل ، سعت أن تكون نوراً للشعوب ، أن تخلق مجتمعا جديداً – لكن من الصعب القول إن ما يحدث في الدولة ، منذ سنوات عديدة ، يشير إلى وجود مجتمع نموذجي " [٤٥] . فالعلماني الإسرائيلي ، الذي يمثله " إلعاد " داخل النص ، يريد أن يحيى في " دولة طبيعية " تشبه الدول الأوروبية ، دولة لا تكون مهددة باستمرار ، ويصبح " الخوف " فيها هو الأساس ؛ لأنها نشأت عن طريق العنف ، ولذلك تخشى " العنف المضاد " . وفي هذا الإطار يرى الباحث الإسرائيلي " شلومو أڤينري " **שלמה אבינרי** أن " تيودر هرتسل " لم يكن ليقبل ما فعلته الحركة الصهيونية سنة ١٩٤٨ من تأسيس للدولة عن طريق " العنف المسلح " ، فيقول : " وربما يمكن أيضاً القول إنه لو كان هرتسل قد استشعر أن يهودا لن تقوم سوى بالدم والنار ، لكان يمكن أن ينسحب من الأمر برمته ، مثله في ذلك مثل الكثيرين من الساذجين في الحركة الصهيونية " [٤٦] . فـ " أڤينري " يرى أن الحركة الصهيونية قد حادت عن رؤية هرتسل لشكل وطبيعة الدولة ، وبالمثل ينظر الإسرائيليون إلى إسرائيل باعتبارها " تشويه " للديمقراطية والعلمانية الغربية ، فتقول الباحثتان الإسرائيليتان " روت جڤيزون " **רות גביזון** ، أستاذ القانون في الجامعة العبرية بالقدي ، و " فانيا عوز –

زلتسبرج " **פניה עוז-זלצברג** ، أستاذ التاريخ في جامعة حيفا : " كان هناك دائماً من زعموا أن إسرائيل لا يمكن أن تكون يهودية وديمقراطية ؛ لأن الدولة اليهودية هي دولة دينية ، والدولة الديمقراطية هي الدولة التي تستمد شرعية سلطتها من موافقة ورضا المحكومين ، وليس إرادة الإله " [٤٧] . وفي المقابل يعتبر إسرائيليون آخرون أن إسرائيل دولة عسكرية ، لا يخضع فيها الجيش للقيادة السياسية ، لكنه يتحكم في هذه القيادة ، فيقول الباحث الإسرائيلي " رئوبين بدهتسور " **ראובן פדהצור** : " هذه " ليست دولة لها جيش ، لكن جيش له دولة " ، هكذا أقر الأمير ميراڤو **הרוזן מיראבו** ، أحد قادة الثورة الفرنسية عند حديثه عن بروسيا القرن الثامن عشر . وبالمثل فإن إسرائيل في القرن الحادي والعشرين – إن أمعنا النظر في نتائج واستخلاصات ورش العمل التي قامت بدراسة العلاقة بين الجيش والمجتمع في إسرائيل – هي أيضاً ليست دولة لها جيش ، لكن " جيش دفاع إسرائيلي " له دولة " [٤٨] . فكأن " إلعاد " يتساءل في هذا السياق : ما الذي تبقّى من كل تلك القصة الصهيونية ؟ وما الذي أتى بنا إلى هنا ؟ وما الذي يدفعنا من الأساس ، والآن تحديداً ، إلى الاستمرار في البقاء هنا ؟

وفي مرحلة ما يحلم " إلعاد " بالعودة إلى الماضي ، حيث كان التيار الاشتراكي يسيطر على المشهد السياسي في إسرائيل ، ولم يكن الصراع مع الفلسطينيين قد وصل إلى هذا الحد الحرج ، وكان المتدينون تحت السيطرة ؛ فنجده يقارن ، في معرض هذا الحنين ، بين اهتزاز الأرض تحت وقع أقدام الجنود سنة ١٩٦٧ ، وبين اهتزازها الآن تحت وقع أقدام الاستيطان الديني في الضفة الغربية ، لكنه سرعان ما يدرك أن أخطاء " الصهيونية الاشتراكية " كانت السبب في كل ما يحدث الآن :

" **העיר העתיקה זזה לעיניו . הוא נזכר בתיאורים הדרמטיים שנכתבו באלבומי הנצחון אחרי ששת הימים , איך רעדו החומות העתיקות מרעם מדרך רגליהם של המון הצנחנים הפורצים דרך שער האריות . מימיו לא ראה השער הזה כל-כך הרבה אריות , נזכר אלעד במלים**

עמוסות הפאתוס ההן . הוא חשב להשתמש בהן פעם כשהוטל עליו לכתוב חוברת חגיגית לרגל כך וכך שנים לירושלים . הוא בהה אז במלים ההן כמשתאה , מנסה לשחזר את תחושת הרוממות ההיא . לרגעים זה אפילו הצליח לו . אחר-כך זה חמק ושוב נראה מוגזם ונפוח"[٤٩] .

" كانت المدينة العتيقة تهتز أمام عينيه . فتذكر الأوصاف الدرامية التي كُتبت في ألبومات الانتصار بعد حرب الأيام الستة ، كيف اهتزت الأسوار العتيقة من دوي وقع أقدام جموع المظليين التي شقّت طريقها عبر بوابة الأسود . لم تشهد هذه البوابة أبداً كل هذا القدر من الأسود . تذكّر إلعاد تلك الكلمات المشبّعة بالحماس . وكان قد فكّر ذات مرة في أن يستخدمها عندما تمّ تكليفه بكتابة كُتيب احتفالي بمناسبة مرور قدر ما من السنوات على أورشليم ، فتأمل حينها تلك الكلمات كالمندهش ؛ محاولاً استرجاع ذلك الإحساس بالشمم. وأحياناً كان يحالفه التوفيق في هذا ، لكنه سرعان ما كان يتلاشى ، ويعود ليصبح مبالغاً فيه وأجوف " .

وفي الواقع فإن هذا الاختيار من جانب " إلعاد " لحرب ١٩٦٧ لم يأتِ من فراغ ؛ لكن لكونها تمثل بداية الانهيار في الإجماع الإسرائيلي حول الصهيونية ، والاصطفاف الداخلي حول القيادتين السياسية والعسكرية ، كما يقول دكتور " أليعازر شڤيد " **אליעזר שביד** ، أستاذ الفكر الإسرائيلي في الجامعة العبرية بالقدس : " ظل الإجماع الصهيوني قائماً حتى حرب الأيام الستة ، ثم بدأت تُسمع – خاصةً بعد حرب الاستنزاف وحرب يوم الغفران ١٩٧٣ – الأصداء السابقة لمعاداة الصهيونية . وكان النتاج المباشر لذلك استئناف النقاش حول الصهيونية ، على الأقل كان ذلك هو الإحساس بين كثير من الشباب الإسرائيليين ؛ أن الصهيونية تطلبت سعراً قاسياً للغاية " [٥٠] .

وفي خضم هذه المراجعات التي يقوم بها " إلعاد " ينتابه شعور بأنه قد خُدع ، وأن الحركة الصهيونية استغلت " حماس " الشباب لدى جيله في زرع مفاهيم خاطئة ، ما كان ليؤمن بها

لو كان وعيه حينها مماثلاً لوعيه الآن . فيتذكر " إلعاد " ما كان يقصه المرشد في الرحلات الخلوية ، ويُعيد تقييم كل ما تعلمه في الماضي :

" **הרי באמת לא האמנו בכלום , חשב לעצמו . הסמאות שעוד נטחנו בינינו על סוציאליזם , אחוות עמים , ציונות , כבר היו ריקות ומתות והתפוררו בעודן נאמרות ... אם הוא היה מקריא לנו את הספר האדום של מאו או את הספר הירוק של קדאפי בטח היינו מאמינים בהם באותו להט . בדיוק כמו תלמידים פקיסטנים באיזו מדרסה הבולעים את דבריו של איזה מטיף נבער וקנא . לא האמנו בכלום והיינו מסוגלים להאמין בכל דבר . התכנים לא היו חשובים בכלל , רק הלהט** " [٥١] .

" لم نؤمن حقاً بشيء ، فكّر بداخله . فالشعارات التي كنّا نتشدق بها عن الاشتراكية ، وأخوة الشعوب ، والصهيونية ، كانت حقاً فارغة وميتة ، وتلاشت بمجرد نطقها ... لو كان حينها قرأ علينا الكتاب الأحمر لماو أو الكتاب الأخضر للقذافي ، لكنّا بالتأكيد سنؤمن بهما بالحماس ذاته . تماماً مثلما يبتلع تلاميذ مدرسة دينية باكستانية أقوال شيخ جاهل ومتعصب . لم نكن نؤمن بشيء ، وكنّا قادرين في الوقت نفسه على الإيمان بكل شيء . لم يكن المضمون مهماً في حد ذاته ، وإنما فقط الحماس " .

وهذا الإحساس بـ " الخداع " يظهر بشكل جلي في أقوال العديد من " المنشقين الإسرائيليين " **הדיסידנטים הישראליים** ، الخارجين على الدولة والرافضين لسياساتها، على المستوى الفكري على الأقل ، ويمكن استشعاره بشكل واضح في قول الدكتور " هنري ڤسرمان " **הנרי וסרמן** ، أستاذ التاريخ والفلسفة والعلوم اليهودية في الجامعة المفتوحة : " من الحري التأكيد على أن مستقبل الدول التي تخلت عن محاولة تأسيس الدولة – الأمة بالتعاون مع أقلياتها (مثل : السودان ، وإسرائيل ، وغيرهما) يغشاه الضباب ، رغم كل ما قد يُقال عن القيمة الأخلاقية لأنظمتها الحاكمة ، ومهما ادعت هذه الدول أنها ديمقراطية " [٥٢] . وهو ما نستشعره أيضاً في قول الدكتور " شلومو ساند "

שלמה זנד ، أستاذ التاريخ العام في جامعة تل أبيب : " إن أي يهودي يعيش في دميقراطية ليبرالية في الغرب ما كان ليقبل اليوم بأشكال التمييز والإقصاء التي تلف المواطن الفلسطيني – الإسرائيلي القاطن في دولة تعلن صراحةً أنها ليست له . لكن أنصار الصهيونية بين يهود العالم ، تماماً كما معظم الإسرائيليين أنفسهم ، ليسوا مهتمين بتاتاً ، أو أنهم غير راغبين في معرفة أن " الدولة اليهودية " ، وبسبب طابع قوانينها اللاديمقراطية ، ما كانت لتُقبل في عضوية الاتحاد الأوروبي ، ولا حتى الانضمام كولاية شرعية أخرى للولايات المتحدة الأمريكية " [٥٣] . ف " داجان " ، في نص " أبحرت الأرض " ، يُعد استمراراً وامتداداً لهذا التيار الفكري الرافض لسياسات الدولة الإسرائيلية ؛ ذلك التيار الذي يرغب في " مراجعة " أصول الفكرة الصهيونية من الأساس .

ولكي يؤكد الأديب هذه الرؤية للدولة التي ضلّت طريقها واختطفها المتدينون ، يتخيل " إلعاد " أنه يرى رجال " البالماح " ، وأعضاء " الحارس الصغير " وأبناء الهجرة الثانية يخرجون من قبورهم ، ويُطلقون السباب ، ويشرعون في الرقص بقيادة " أم إلعاد " التي تنتمي إلى هذا الجيل الذي كان يحلم بإسرائيل أخرى مغايرة تماماً لإسرائيل الحالية ؛ كأنهم يقولون إن هذه ليست الدولة التي حاربوا من أجلها .. ولكي يوضحوا للقارئ شكل وطبيعة الدولة التي كانوا يحلمون بها ؛ فإنهم يشرعون في الرقص ، تعبيراً عن أملهم في دولة ليبرالية حرة ، تُحترم فيها حقوق الإنسان ، ولا يُميّز بداخلها بين المواطنين ، ويديرون ظهورهم للأماكن المقدسة ؛ في إشارة إلى الفصل بين " الدين " و " السياسة " الذي كانوا يرومونه في الدولة التي حاربوا من أجلها :

" **הוא היה ממש יכול לראות את המתים עולים מן הקברים , את הפלמ''חניקים ואנשי העלייה השניה ואנשי השומר מגיחים ומתנערים תוך קללות עסיסיות ברוסית ובערבית , צועדים בצעד מאושש ובוטח אל איזה מקום מחוץ לעיר , מפנים את גבם אל המקומות הקדושים ומחפשים להם איזו קרחת יער טובה , משלבים ידיים ופורצים שם**

בהורה מדבקת וסוחפת עם אמא שלו , אמא שלו שרצתה רק להמשיך לרקוד , לחולל , להסתחרר מתחת לירח " [٥٤] .

" أصبح بوسعه أن يرى بشكل فعلي الأموات يخرجون من القبور ، البالماحيين وأبناء الهجرة الثانية وأعضاء الحارس وهم ينطلقون نافضين ما علق بهم ، ومُطلقين سباباً لاذعاً بالعربية والروسية ، يَخطون بخطى واثقة وقوية إلى ثمة مكان خارج المدينة ، ويديرون ظهورهم للأماكن المقدسة فيما يبحثون لأنفسهم عن أية أرض فضاء مناسبة وسط الغابة ، ويداً بيد ينفذون إليها مطلقين صيحة حماس مُعدية وجارفة ، بصحبة أمه ، أمه التي ودّت فقط مواصلة الرقص ، أن ترقص ، أن تدور حول نفسها تحت القمر " .

ذلك أن أساس الفكرة العلمانية هو الفصل بين " الدين " و " الدولة " ، و " في نموذج الفصل بين الدين والدولة تعلن الدولة عن نفسها كـ " علمانية " (بمعنى أنها ليست دينية ، وليست أيضاً معادية للدين) أو كـ " محايدة " ، أو تعلن بشكل واضح عن مبدأ الفصل"[٥٥]، في حين تكتفي إسرائيل بالترويج لنفسها وسط العالم الغربي باعتبارها دولة علمانية ، وديمقراطية ليبرالية ؛ حتى تحمي مصالحها المتشعبة مع الدول الغربية ، كما يقول الباحث الإسرائيلي " سامي سموحة " **סמי סמוחה** : " ينظر العالم إلى إسرائيل ليس فقط كديمقراطية ، لكن أيضاً كديمقراطية غربية متميزة ، والنخب اليهودية في إسرائيل تدرك ذلك ، وتعمل على إشاعة هذا الوصف ، فهذه السمعة هي جزء من تعاطٍ واسع للغاية مع إسرائيل باعتبارها دولة غربية متقدمة ، وهي من جهتها تستثمر ذلك في ترسيخ علاقاتها المتشعبة مع الغرب ، والحصول على مساعدات كبيرة منه "[٥٦]. وفي المقابل يرفض تيار " ما بعد الصهيونية " هذه الازدواجية ؛ حيث يصر اليمين الصهيوني على تعريف إسرائيل كـ " دولة يهودية وديمقراطية " **מדינה יהודית ודמוקרטית** ، في حين " يرى أغلبية دعاة تيار ما بعد الصهيونية ، أنه مع اضمحلال البعد القومي لليهودية ، وضعف الأيديولوجيا الصهيونية ، سوف يطغى البعد الديني في تعريف اليهودية ، وهذا ما يحدث بالفعل ، الأمر الذي سوف ينتهي بسيطرة القوى الدينية على الدولة وفرض نموذجها ، وهو نموذج ما قبل حداثي ،

انغلاقي ، وغير ديمقراطي . ولذا يؤكدون أن الدولة إما أن تكون دولة ديمقراطية ، وإما أن تكون دولة يهودية " [٥٧] . ولحل هذه الإشكالية يرفع تيار " ما بعد الصهيونية " شعار " دولة لكل مواطنيها " **מדינה לכל אזרחיה** ؛ أي دولة ديمقراطية ليبرالية وفق النموذج الغربي ، فيقول المؤرخ الإسرائيلي " مردخاي بر – أون " **מרדכי בר – און** : " وفي المقابل يسعى ما بعد الصهيونيين الرافضين إلى إلغاء ذلك الطابع القومي الواحد ، وإلى تحويل الدولة إلى " دولة لكل مواطنيها " ، وهم يعتقدون أنه يجب فعل ذلك عبر إلغاء " قانون العودة " ، وإلغاء التمييز ضد مواطني الدولة العرب ، وكل ما يتصل بأراضي الشعب وأراضي الصندوق القومي اليهودي ، وعن طريق فصل الدين عن الدولة وصياغة دستور ديمقراطي يُرسّخ حقوق ومكانة كل مواطن في إسرائيل ، لا عن طريق حق تقرير المصير الديني – القومي " [٥٨] .

فالصهيونية كانت خطأ ، ونهاية الدولة تحت أيديها ستكون وخيمة ؛ هكذا على الأقل كانت تفكر " حاسيا " التي تعتريها مخاوف بأن " النازيين " قادمون ، وأن الدولة تبحر ، بسياساتها الحالية ، إلى ألمانيا ، حيث " الحل النهائي " و " الإبادة " . وعندما تدرك في لحظة ما أن الدولة تتخذ خطوات فعلية نحو الإبحار إلى " ألمانيا " ؛ فإنها تُخرج صور البالماح ، من " متحف البالماح " حيث تعمل ، وتُلقيها في البحر ؛ معتذرةً لأبطالها – من وجهة نظرها – لأنها لم تستطع أن تحمي " بطولاتهم " و " تضحياتهم " ؛ لأن كل شيء كان خطأً من الأساس :

" **היא פתחה את האלבום הראשון , תלשה תמונה אחת והשליכה אותה למים . ג'יפ שחור לבן ועליו בחור ובחורה צעירים צף במים השחורים ... הם לא יכולים עוד להגן על עצמם ואנחנו לא יכולים להגן עליהם , הכל היה אשליה , מעולם לא יכולנו , לא באמת , אנחנו הרי יודעים מי אנחנו ומאיפה אנחנו באים , מה חשבנו לעצמנו , מה ? ... מה יועילו כמה סטנים מול כל העוצמה הזאת ... אבל הארץ לא שטה לגרמניה** " [٥٩] .

" وفتحت الألبوم الأول ، وانتزعت منه إحدى الصور وألقتها في الماء . جيب أسود أبيض فوقه شاب وشابة صغيران يطفو في المياه الداكنة ... لم يعد بمقدورهم الدفاع عن أنفسهم أكثر ، ولم يعد بمقدورنا الدفاع عنهم ، كل شيء كان وهماً ، لم نستطع أبداً ، لم نستطع حقاً ، ونحن نعرف جيداً من نحن ومن أين نأتي ، ماذا كنّا نعتقد في أنفسنا ، ماذا ؟ ... وهل ستُجدي بضعة رشاشات ستين يدوية في مقابل كل تلك القوة ... لكن الأرض لم تبحر إلى ألمانيا " .

فالأديب يُوجّه في هذا السياق نقداً مباشراً للاعتقاد الصهيوني المبكر بأن " القوة " يمكن أن تحسم " الصراع السياسي على الأرض " ، وهو الاعتقاد الذي استوردته الصهيونية من " القوميات الأوروبية البدائية " في القرن التاسع عشر [٦٠] . ويمكن أن نلمس أثراً مباشراً لهذا الاعتقاد في الخطاب الذي وجهه الناشط الصهيوني " ڤلاديمير دوڤونوڤ " Vladimir Dubnow (١٨٥٨ – ١٩٤٠) إلى أخيه المؤرخ الروسي اليهودي " شمعون دوڤونوڤ " Simon Dubnow (١٨٦٠ – ١٩٤١) [٦١] سنة ١٨٨٢ : " إن الهدف النهائي أن نستولي بمرور الوقت على أرض إسرائيل ، وأن نعيد لليهود الاستقلال السياسي الذي فقدوه منذ ألفي عام . إن على اليهود أن ينهضوا مرة أخرى ، وبالسلاح لو تطلب الأمر " [٦٢] . ومن ناحية أخرى يشير الاستشهاد السابق إلى العلاقة الجدلية التي تربط بين النازية ، والصهيونية والنكبة الفلسطينية ، وهي العلاقة التي يصفها عالم النفس الإسرائيلي " دان بر – أون " **דן בר – און** بقوله : " يوجد ثمة مثلث محكم الإغلاق يجمع بين الألمان ، والإسرائيليين – اليهود والفلسطينيين . وهو مثلث معقد من الصعب وصفه أو تحليله دون الوقوع في شرك العرض السطحي أو الخاطئ " [٦٣] . ويمكن تتبع مسار هذه الجدلية على النحو التالي :

١ – اضطهاد ألمانيا النازية لليهود .

٢ – استخدام الصهيونية – رغم مشاركتها بشكل أو بآخر في المحنة النازية – لـ " عقدة الشعور بالذنب " عند الأوروبيين ، وربما أيضاً مصالح الدول الأوروبية في المنطقة ؛ من أجل الدفع في اتجاه تأسيس دولة إسرائيل (٦٤) .

٣ – اضطهاد الإسرائيليين للفلسطينيين وخلق " الشتات الفلسطيني " .

٤ – الخوف الإسرائيلي من مصير مشابه لمصير " ألمانيا النازية " .

ويركز نص " أبحرت الأرض " على العنصر الرابع من هذه الجدلية تحديداً ؛ إذ تُعقد أحياناً مقابلة بين " الكيان السياسي " الذي أوجدته الصهيونية في فلسطين وبين الاحتلال الصليبي في العصور الوسطى ، والاستعمار الأوروبي حديثاً ، والتجربة النازية في ألمانيا ونظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا (٦٥) ، وحيث إن كل هذه الأنظمة قد سقطت ؛ فإن الخوف من " التكرار " يصبح مرادفاً للخوف من المصير المشابه ، فيقول الباحثان الإسرائيليان المؤرخ " ألكسندر يعقوڤسون " **אלכסנדר יעקובסון** والباحث القانوني " أمنون روبنشتاين " **אמנון רובינשטיין** : " إن الادعاء بأن الحركة الصهيونية كانت منذ البداية حركة استعمارية عرّابها الاستعمار البريطاني هو ادعاء بالغ الأهمية في الخطاب المعادي للصهيونية ... وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا الاتهام يفترض أن المشروع الصهيوني ، مثله في ذلك مثل كل التمثلات الاستعمارية الحديثة في العالم الثالث ، مُقدّر له الزوال"(٦٦).

وفي هذا السياق يمكن النظر إلى رواية " أبحرت الأرض " لـ " حاجاي داجان " باعتبارها توسيع لمفهوم " فك الارتباط " ، من " فك الارتباط عن غزة " سنة ٢٠٠٥ ، قبل سنتين من صدور الرواية ، إلى " فك ارتباط شامل " بين " الأرض " وكل من " الدين " و " التاريخ " و"الماضي " و " الجغرافيا " ؛ أملاً في تحويل إسرائيل إلى " دولة طبيعية " تتمحور حول مبدأ " المواطنة " فحسب ؛ وذلك عبر نزع " القداسة " عن الأرض عبر مفارقتها الخيالية لمحيطها شرق الأوسطي ، ونفي " الاستمرارية التاريخية " بين الماضي والحاضر ، وهما الدعامتان الرئيستان للسياسات الاستعمارية الإسرائيلية في فلسطين . وفي حوار بين " إلعاد" والمستوطنة الدينية " راعوت " **רעות** يُعبّر " إلعاد " عن هذا التوجه دون لبس :

" אי אפשר לאהוב את הארץ וגם לקדש אותה . זה לא הולך ביחד .

בטח שכן , התלהטה . גם את הקודש ברוך הוא אנחנו אוהבים , והיא קדוש .

זאת לא האהבה שלי . אני חושב שהקדושה מרחיקה ולא מקרבת .

...

זה אולי נגמר איפה שאתה נמצא , אבל זה ממשיך אצלנו . אצלנו ארץ ישראל הישנה והטובה חיה וקיימת .

אצלכם היא מתה יותר מאשר בכל מקום אחר .

אני לא מבינה איך אתה יכול להגיד את זה , התקוממה , אנחנו הדבר האמיתי . אנחנו ממשיכים את מה שהיה שם .

אתם לא ממשיכים כלום . אתם זיוף . גנבתם את המותג ועשיתם ממנו משהו אחר לגמרי " [٦٧] .

" لا يمكن أن نحب الأرض وأن نقدسها في ذات الآن . هذان لا يستقيمان معاً .

بل يجب بالتأكيد ، أخذتها الحماسة ، فالمقدّس تبارك هو نحبه ونقدسه في ذات الآن .

أنا لا أحب هكذا . أنا أعتقد أن القداسة تُبعّد ولا تُقرّب .

...

ربما هذا انتهى لديك حيث توجد ، لكنه لازال موجوداً لدينا . بالنسبة إلينا أرض إسرائيل حيّة وقائمة .

عندكم هي ميتة أكثر مما في أي مكان آخر .

لا أفهم كيف بوسعك التحدث هكذا ، ثارت ، نحن الشيء الحقيقي ، نحن نصل ما انقطع .

أنتم لا تَصلون أي شيء . أنتم زيف . سرقتم علامة مسجلة ، وصنعتم منها شيئاً آخر تماماً " .

فلا يمكن الحديث عن " الديمقراطية " أو " العلمانية " أو حتى " الحداثة " في ظل الادعاء المتكرر من قبل " الصهيونية الدينية " و " الحريدية المسيحانية " بـ " قداسة إسرائيل " **קדושת ישראל** ، ففي ظل هذه القداسة يصبح " المتدين المسيحاني " بمثابة مبعوث الوحي الإلهي ، وليس رجل سياسة يصيب ويخطئ ، كما يقول دكتور " دوڤ شوارتز " **דב שוורץ** ، أستاذ الفكر الإسرائيلي في جامعة بر– إيلان : " إن النموذج الفكري للمتدين الجديد يُستمَد – أولاً وقبل كل شيء – من " الكاريزما " ؛ أي من الإحساس بالوحي الإلهي الذي يخفق بداخله ، فالصهيوني الديني يعمل وفقاً لقناعته الداخلية بأنه مبعوث الوحي الإلهي ومُطبّق مشروعه " [٦٨] . بل إن هذا " المتدين المسيحاني " يرفض إسرائيل الحالية ، ويريد إرجاعها إلى مرحلة " ما قبل الحداثة " ، حيث تتحول إلى " دولة دينية " بالمعنى الحرفي للكلمة ، كما يؤكد دكتور " ميخال ليتمان " **מיכאל ליטמן** : " ويمكن أيضاً القول إن الوضع الآن أسوأ بمراحل مما كان عليه عندما كان مُقام شعب إسرائيل بين الأمم . فعندما كنّا في الجالوت كان شعب إسرائيل متشبثاً بثقافته وخصوصيته بسبب رغبته في الحفاظ على طابعه الخاص ، أما الآن ، وفي ظل الواقع الإسرائيلي الحالي ، فإن الشعب خاضع لسيطرة الثقافات الأجنبية مثل كل الجوييم . إن الجالوت في أرض إسرائيل قوي جداً لدرجة عدم الشعور به " [٦٩] . كما أن هذه " القداسة " هي المصدر الرئيس لما يسميه الباحثان الأمريكيان " إيمي بارازور " Ami Pedahzur ، أستاذ دراسات الدياسبورا في جامعة " تكساس في أوستين " بالولايات المتحدة ، و " آري بيرليجر "Arie Perliger ، أستاذ الدراسات الأمنية في الأكاديمية العسكرية الأمريكية " وست بوينت " ، بـ " الإرهاب اليهودي في إسرائيل " [٧٠] ، وهي أيضاً السبب الرئيس في ظهور التنظيمات الدينية المتطرفة على الجانب الفلسطيني ؛ بسبب نقلها لمحور ارتكاز الصراع العربي – الإسرائيلي من صراع سياسي وجودي إلى صراع ديني [٧١] .

وهكذا يُراوح " عدم الانتماء " مكانه من مجرد أزمة في العلاقة بين " الإسرائيلي " و " المكان " إلى نقد ونقض للأسس التي قامت عليها الحركة الصهيونية ، فالصيغة الحالية للدولة ، وفقاً للنص ، غير مقبولة بأي حال ؛ إذ يمكن أن تؤدي – وفق ملابسات قد تطرأ مستقبلاً – إلى " عزلة دولية " و " عقوبات " على غرار جنوب أفريقيا ، أو " حرب إقليمية " شاملة يلوح فيها " الحل النهائي " و " الإبادة " . لكن يظل الحل الأنجع يتمثل في إيجاد نموذج تفسيري ما يعطي شرعية للوجود اليهودي في المنطقة ، ويُحوّل " النبتة الغريبة " إلى شجرة زيتون أصيلة .

ثالثاً : الحل الكنعاني ووحدة المصير بين الفلسطينيين واليهود

تأخذ رواية " أبحرت الأرض " لـ " حاجاي داجان " الفكرة الكنعانية [٧٢] – التي ظهرت في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين – وتنحرف بها عن مراميها وأغراضها بما يتسق مع رؤية النص لحل الصراع العربي الإسرائيلي ؛ ووفق هذا الطرح يعتبر الأديب أن اللغة العبرية تنحدر من لغة سامية غربية قديمة ، موطنها جبل لبنان ، وأن أصحاب هذه اللغة هم أجداد اليهود الحاليين ، على نحو ما يتضح من الحوار بين " إلعاد " وأكاديمي إسرائيلي متخصص في اللغات السامية :

" **תבין , אמר האיש , תבין , אנחנו עתיקים מאוד . הוא לגם במתינות מהתה שלו והשתתק לרגע . אנחנו עתיקים מאוד – מאוד . אני איש אקדמיה , בלשן של שפות שמיות . עכשיו אני כבר בפנסיה , אבל אני ממשיך לעסוק בזה . לא הייתי מעלה על דעתי להפסיק . זה זורם לי בדם , אתה מבין ? אז לאחרונה התגלה משהו די מרעיש . מצאו משפטים שמיים מהאלף השלישי לפני הספירה על פירמידיה אחת במצרים . הם כתובים בכתב הירוגליפים אבל בשפה שמית . השפה השמית הזאת היא השפה של גבל בלבנון , וחושבים שממנה יצאה**

בהמשך העברית . אתה תופס את המשמעות של זה ? האנשים האלה שישבו בגבל לפני חמשת אלפים שנה הם אבותינו ! " [٧٣] .

" افهم ، نحن قدماء جداً . واحتسى ببطء من شايه ، وظل صامتاً لبرهة . نحن قدماء جداً – جداً . أنا رجل أكاديمي ، عالم لغة ، متخصص في اللغات السامية . وأنا متقاعد الآن ، لكنني لازلت أهتم بهذا . لم يخطر ببالي أن أتوقف ، فهذا يجري في دمي ، هل تفهم؟ . ومؤخراً وقع تحت يديّ اكتشاف مذهل ؛ إذ تم العثور على عبارات سامية ترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد في أحد الأهرامات في مصر . عبارات مكتوبة بالهيروغليفية ، لكن بلغة سامية . وهذه اللغة السامية هي لغة الجبل في لبنان ، ويعتقدون أن اللغة العبرية قد انحدرت من هذه اللغة بمرور الزمن . هل تفهم معنى هذا ؟ هؤلاء الناس الذين كانوا يعيشون في الجبل قبل خمسة آلاف سنة هم آباؤنا ! " .

وعلى هذا النحو فإن اللغة العبرية هي مجرد إحدى لهجات اللغة الكنعانية ، وهو رأي قديم سبق أن ردده المستشرقون في معرض مقارنتهم بين العبرية والكنعانية ، كما يقول دكتور " إسرائيل ولڤنسون " : " بعض المستشرقين كانوا يطلقون على العبرية والآرامية الاصطلاح "لهجتي اللغة الكنعانية " ، وهو اصطلاح يتسرب إلى الذهن منه أن هاتين اللغتين مشتقتان من الكنعانية ، وهو خطأ صريح لا أصل له من الصحة ؛ لأن العبريين من بني إسرائيل وغيرهم قد جاؤوا بلغتهم من موطنهم الأصل ، ولم يقتبسوها من الكنعانيين بعد اتصالهم بهم " [٧٤] . كما أن هذا الرأي يتعارض مع اعتقاد الكنعانيين بأن المنطقة من النيل إلى الفرات كانت تتحدث اللغة العبرية ، وأن العرب الموجودين في هذه المنطقة كانوا يهوداً تم إجبارهم على اعتناق " الإسلام " و " المسيحية " ، والتخلي عن لغتهم العبرية ، كما يقول " عوز ألموج " : " وذهب بعض الباحثين إلى ما هو أبعد من ذلك ، فجادلوا بأن البدو الموجودين في فلسطين هم العبريون الضائعون ، من نسل القبائل العبرية القديمة ، أو من نسل اليهود الذين تخلوا عن دينهم بسبب الاضطهاد ، وكان من بين من تبنى هذا الرأي اللغوي والمعجمي أليعازر بن يهودا . وقد أسسوا اعتقادهم هذا على اكتشافات اللغويين ، والجغرافيين ،

ودارسي الأساطير الشعبية حول العالم ، وبشكل خاص على العلاقة القوية التي تربط بين العربية الفصحى واللغة العبرية ، والتي أثبتت بالنسبة لهم العلاقة الإثنية القوية بين العرب ويهود الكتاب المقدس " [٧٥] .

فهنا ثمة تصحيح وعدول عن اعتقاد الكنعانيين في الأربعينيات والخمسينيات بأن " العبرية " هي الأصل ، وأن كل الشعوب القائمة في المنطقة " من نهر الفرات شرقا وحتى ساحل البحر المتوسط غرباً ، ومن الحدود المصرية جنوباً إلى الحدود التركية شمالاً ... كانوا يتحدثون العبرية بمختلف لهجاتها ، وأن " الأمة العبرية " القديمة خرجت إلى الوجود في هذا النطاق الكنعاني ، وتمكنت من تأسيس حضارتها العبرية الأولى " [٧٦] .. وعلى هذا النحو تغدو العبرية أحد فروع اللغة الكنعانية القديمة ، ويصبح الوجود اليهودي في المنطقة تالياً على الوجود الكنعاني أو العربي .

وثمة " انحراف " آخر ، داخل النص ، يتمثل في المنطقة المستهدفة لإقامة الدولة الإسرائيلية الجديدة ؛ حيث تنحصر هذه المنطقة بين " نهر الأردن " شرقاً و " البحر المتوسط " غرباً ، على العكس من اعتقاد الكنعانيين سالف الذكر ، كيفما يقرر " تسوكرمان " في حواره مع " زوسمان " :

" **כל הארץ שטה .**

השאלה איך אתה מגדיר כל .

כן ... טוב , נו , בסוף הם נשארו תקועים עם השטחים , אמר צוקרמן . ממש ארץ ישראל השלמה , אם כי לפי ההבטחה האלוהית הצנועה . עכשיו הם כבר יוכלו לשכוח מההבטחה ההיא .

איזה ההיא ?

מנחל מצרים ועד הנהר הגדול . זה כבר לא יהיה . עכשיו זה סופי וברור – רק מהירדן ועד הים " [٧٧] .

" الأرض كلها تُبحر .

المشكلة في تعريف كلمة "كل" هذه .

صحيح ... حسناً ، هذا جيد ، لقد أصبحوا في النهاية عالقين مع المناطق ، قال تسوكرمان . أرض إسرائيل الكاملة فعلاً ، لكن مع وعد إلهي مُقلّص ، الآن بوسعهم حقاً نسيان هذا الوعد .

أي وعد .

الوعد من النيل للفرات . هذا لم يعد قائماً . الآن أصبح واضحاً وقاطعاً – من نهر الأردن إلى البحر فحسب " .

وفي هذا الصدد يمكن النظر إلى " الحركة الكنعانية " – التي يقيم معها نص " أبحرت الأرض " علاقة تناص مباشرة – باعتبارها حركة سياسية توسعية تتفق في أهدافها وأسسها مع كل من " الصهيونية العلمانية " و " الصهيونية المسيحانية " ؛ إذ إن " تصوير البدو على أنهم أحفاد الإسرائيليين ، أو على الأقل المحافظين على الثقافة الإسرائيلية ، تم استخدامه سياسياً بشكل ناجع جداً ؛ حيث ساعد الصهيونيين على إثبات حق اليهود في فلسطين ، وقوّى الشعور العام بأنهم كانوا أسياد هذه الأرض " [٧٨] . كما أن الحركة الكنعانية كانت تحمل في طياتها الكثير من الأفكار المسيحانية المتطرفة ، فـ " الكنعانيون العبريون المعادون للصهيونية بقيادة يوناتان راتوش والمسيحانية القومية اليهودية العبرية كانا يصدران من المنبع ذاته ، لكنهما تطورا في اتجاهين مختلفين . فكلاهما كان يسعى إلى إنشاء الدولة ، والعودة بالشعب الإسرائيلي إلى أساسه الإقليمي ، وكلاهما أكد على الدور المحوري للوطن المادي، وانتقد بعنف المؤسسة الصهيونية السياسية ، وكلاهما دعا إلى النشاط المسلح ، وتبنى خريطة واسعة جداً للمساحة التي سوف تُقام فيها الدولة " [٧٩] . ولذلك لم يكن مستغرباً " التأييد الشديد من جانب الكنعانيين للنشاط الاستيطاني الذي يقوم به رجال " جوش إيمونيم " في المناطق المحتلة ، برغم الحقيقة الخاصة بأن هؤلاء هم النقيض للحركة الصهيونية "[٨٠]. وفي المقابل تقصر رواية " أبحرت الأرض " حدود إسرائيل من " نهر الأردن إلى البحر المتوسط " ، وإذا أضفنا إلى هذا الطرح الاعتقاد السابق بأن الفلسطينيين هم أصل هذه

الأرض ؛ يصبح من المنطقي الافتراض بأن الرواية تدعو إلى السلام وتجاوز " الحقبة الصهيونية " .

فالفلسطينيون هم أبناء هذه الأرض ، وهم جزء أصيل من الحل ؛ ولذلك تأخذهم الأرض معها في رحلتها الخيالية بحثاً عن حل للصراع العربي الإسرائيلي طويل الأمد ، وفي هذا الصدد يستعرض النص تاريخ مدينة " القدس " ، التي لم يكن اليهود ليجدوا موطئ قدم بها لولا خيانة " أُرنان اليبوسي " **ארנן היבוסי** [٨١] ، وبيعه " بيدره " إلى " داود " الملك :

" **נראה היה שהרחובות החליפו צורתם , שהעיר נבללת ומתערבלת בתוך עצמה , מחליפה חומות ומשעולים , מוהלת בתים ואנשים , מחלצת שכבות ישנות כמו תל המקיא עצמו החוצה . אלעד לא ראה עוד את הכנסייה הסקוטית . הוא ראה רחובות טורקיים , כרכובים ממלוכיים , אבני מרצפת בסגנון איובי , גגות פאטימיים קרסו מול עיניו ומתוך ההריסות עלו לרגע קירות צלבניים מגושמים , קשתות עבאסיות , סטיו ביזנטי , עמודים רומיים , מהומה ומבוסה ואבנים קורסות אלו אל תוך אלו ... רחובות שקועים מימי בית חשמוני ... והגשם המטפטף על פניה היה לתסס עתיק , נרגז ומורתח , לקצף מארה מתנקז חזרה , חזרה אל המקור, אל גורן ארנן היבוסי שמעל גיא בן הנום , משכנו של המולך**"[٨٢] .

" بدا كما لو أن الشوارع تغير شكلها ، أن المدينة تذوب وتمتزج في بعضها ، تبدل الحوائط والطرق الضيقة ، تمزج البيوت والأشخاص ، تقذف الطبقات القديمة كأطلال تتقيأ نفسها إلى الخارج . ولم يعد إلعاد يرى الكنيسة السكوتية . أصبح يرى شوارع تركية ، نقوشاً مملوكية ، بلاطات حجرية على النمط الأيوبي ، ثم تهاوت أمام عينيه أسقف فاطمية ، وظهرت فجأة من وسط الأطلال جدران صليبية ضخمة ، أقواس عباسية ، رواق بيزنطي ، أعمدة رومانية ، ثورة وهزيمة وأحجار تنهار فوق بعضها ... شوارع غارقة من أيام البيت

الحشموني ... فيما تحوّل المطر المنحدر على وجهها إلى فوران عتيق يغلي بغضب ، إلى لعنة غاضبة مرتدة إلى الأصل ، إلى بيدر أُرنان اليبوسي الذي خان جيء بن هانوم ، موطن مولوخ " .

إن " حاجاي داجان " يضع يده هنا على تناقض رئيس في الفكر الصهيوني ؛ أي ذلك السعي لتجاهل تاريخ تلك الرقعة من الأرض قبل إقامة الدولة سنة ١٩٤٨ ، أو حتى تاريخها قبل مجئ العبرانيين ثم بني إسرائيل في التاريخ القديم .. وهو ضرب من التفكير الأسطوري المفارق للواقع ، أو التفكير الميتافيزيقي العابر للتاريخ على حد قول " جياني فاتيمو " Gianni Vattimo ، أستاذ الفلسفة في جامعة تورين بإيطاليا ، و " مايكل ماردر " Michael Marder ، أستاذ الفلسفة في جامعة إقليم الباسك بإسبانيا : " الصهيونية تنويع سياسي حديث نسبياً على موضوعة الميتافيزيقا ؛ فهي ، بكل أشكالها ، تعتبر مفهوم الشعب اليهودي وصلته بـ " أرض إسرائيل " عابراً للتاريخ وموحداً ، بغض النظر عن المنافي المؤقتة . إنها ، إذ تدعي القدس عاصمة " أبدية غير قابلة للتقسيم " لدولة إسرائيل ، تتجاهل بشكل متعمد تاريخ المدينة وحقائقها المعمارية والسكانية والسياسية المتغيرة على مر القرون " [٨٣] .

ثم ينتقل " داجان " إلى تصوره للدولة التي يرغب في إنشائها مكان إسرائيل الحالية ؛ فإذا كانت الأرض بهذا القِدم ، وإذا كانت قد وطأتها كل هذه الأعراق ، واللغات ، والأديان، بل والألوان – فإن المنطقي أن تصبح الدولة الجديدة خُلواً من كل هذه التمييزات والتصنيفات ؛ دولة علمانية حقيقية لا تُفرّق بين مواطنيها على أساس اللغة ، أو العرق ، أو اللون أو الدين ؛ لأن الأرض ثابتة والبشر متغيرون :

" **לאן אתה רוצה שהארץ המסכנה הזאת תזוז ? כל השנים היא היתה תקועה פה ועכשיו אתה רוצה שהיא תזוז ? רק היהודים התרוצצו כל השנים בעולם כמו עכברים משוגעים , אבל הארץ נשארה במקום . כל פעם באו כל מיני והלכו , אתה מכיר הרי את ההיסטוריה הזאת , אבל היא נשארה במקום כמו סוסה קשורה . האמת , אפילו סוסה , אם היא**

נהיית רעבה , בטח לא תישאר . אבל זאת נשארה . רסבן ענו נשארה"[٨٤]

.

" إلى أين تريد لهذه الأرض المسكينة أن تتحرك ؟ ظلت قابعة هنا كل تلك السنين ، وتريدها الآن أن تتحرك ؟ اليهود فقط هم من هاموا على وجوههم في العالم كل تلك السنين كفئران مجنونة ، أما الأرض فقد ظلت في مكانها . في كل مرة كان يأتي كل أنواع البشر ويذهبون ، وأنت تعرف بالتأكيد هذا التاريخ ، أما هي فقد ظلت في مكانها كالفرس المربوط. وفي الحقيقة ، فإنه حتى الفرس لن تظل قابعة في مكانها إن جاعت . أما هذه فظلت . غصباً عنّا ، ظلت " .

فاليهود ، وفقاً للنص ، هم مجرد مُكوّن من مكونات هذه الأرض ، ولا يجوز لهم الاستئثار بها منفردين ؛ وهي النتيجة ذاتها التي يتوصل إليها المؤرخ الإسرائيلي " دانيال جڤرون " **דאניל גברון** : " وبوصولنا إلى الاستنتاج بأن هذه المنطقة من البحر المتوسط إلى نهر الأردن لابد أن تصبح مشتركة ، ولا يمكن أن تُقسم ، لا يغدو أمامنا سوى خيار واحد : أن يتعايش الفلسطينيون والإسرائيليون في دولة واحدة " [٨٥] .

فالفلسطينيون واليهود يجمعهما مصير واحد ، ويتشابهان في أن كليهما قد تعرّض للاضطهاد على يد دولة مستبدة غاشمة ؛ " ألمانيا النازية " في حالة اليهود ، و " الدولة الإسرائيلية " في حالة الفلسطينيين . ولكي يُعبّر الراوي عن هذا التشابه بين " إسرائيل " و " النازية " ، وبين الظلم الذي تعرض له اليهود في الحقبة النازية والظلم الذي تعرض له الفلسطينيون في الحقبة الإسرائيلية ؛ فإنه يستخدم لفظ " موزلامنيم " **מוזלמנים** ، في إشارة إلى الكلمة التي استخدمها النازيون للإشارة إلى اليهود الذين تم تجويعهم في " معسكرات الاعتقال " ، ويستخدمها الراوي هنا في معرض الإشارة إلى " حاسيا " التي تبدو بجسدها الضئيل والنحيل أشبه بالـ " موزلامنيم " :

" אלעד צידד אליה מבט וחשב לעצמו שהיא כבר לא אכלה כמה שנים . מראות של מוזלמנים עלו בראשו . מוזלמנים מצטופפים בין הריסות ירושלים , תועים בפיח ובגשם , נעים כלהקות מפוספסות , אבודות , בין שברי הארץ הנפרדת לגורמים " (٨٦) .

" أشاح إلعاد بنظره عنها ، وأخذ يفكر في أنها لم تأكل حقاً منذ سنوات . خطر على باله مرأى الموزلامنيم . موزلامنيم يصطفون بين أطلال أورشليم ، تائهين وسط السخام والمطر ، يتحركون كقطعان متناثرة ، ضائعة ، بين ثنايا الأرض المتقطعة الأجزاء " .

فعند الحديث عن ضحايا النازية استخدم الفيلسوف الإيطالي " جورجيو آجامبين " Giorgio Agamben مصطلحين بالتوازي : مصطلح " الهومو ساكر " Homo Sacer ، وهو مصطلح روماني الأصل استخدمه آجامبين للإشارة إلى الإنسان المستباح ، الذي لا حول له ولا قوة ، الذي يتم تجويعه داخل نعسكرات النازي دون قتله ؛ لأنه " الميت الحي " الشاهد على قوة وسطوة النظام النازي (٨٧) **. أما المصلح الثاني فهو " الموزلمان " Muselmann ، أو " المسلم " ، وهو مصطلح شاع استخدامه داخل معسكرات النازي ، و " في لغة المعسكرات يُعد الموزلمان الشخص الذي اجتاز خطاً معيناً ، ووصل إلى حالة من الجوع الجسدي واليأس النفسي تشبه التوحد ، وتنذر بالموت الوشيك "** (٨٨) **. وقد أُعطيت تفسيرات عديدة للمصطلح ، لكن " التفسير الأكثر شيوعاً للمصطلح يمكن أن نجده في المعنى الحرفي للكلمة العربية " مسلم " : أي الشخص الذي يستسلم دون قيد أو شرط لإرادة الرب ... لكن بينما يضرب استسلام المسلم بجذوره في الاعتقاد بأن إرادة الرب تشتمل كل لحظة في الوجود ، وحتى أصغر مجريات الحياة ؛ فإن الموزلمان في أوشڤيتز يُعرف في المقابل بالفقدان التام للإرادة والوعي"** (٨٩) **. ويُستخدم المصطلحان ، "الهوموساكر " و "الموزلمان " ، أحياناً بالتوازي في معرض الإشارة إلى الممارسلت الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين تحت الحكم الإسرائيلي** (٩٠) **. فالمعني في إشارة النص إلى حاسيا باعتبارها " موزلمان " أن إسرائيل قد أضحت " معسكر اعتقال نازي " كبير ، يُمارس**

فيه الاضطهاد والتنكيل ضد كل من " الفلسطينيين " و " اليهود " على حد سواء ، وأن إسرائيل لا تختلف إطلاقاً عن ألمانيا النازية . ومن هذا المنطلق ، وباعتبار أن إسرائيل قد تحولت إلى شيء أشبه بـ " أرض الخوف " ، يغدو من المنطقي أن تسعى معظم الشخصيات الرئيسة داخل الرواية إلى مغادرتها ، والبحث عن مكان آخر أكثر أمناً . وفي هذا السياق يرى المؤرخ الإسرائيلي " جور ألروئي " **גור אלרואי** أن " الخوف " كان دائماً السمة المميزة لـ " الصهيونية الإقليمية " ؛ حيث السعي إلى الاستيطان في أي مكان بخلاف فلسطين ، أو " أرض إسرائيل " وفق المصطلحات الصهيونية [٩١] .

وتستقر الأرض في نهاية الرواية بجوار دولة " النرويج " ؛ حيث عُقدت " اتفاقات أوسلو " **הסכמי אוסלו ١٩٩٣** ؛ إقراراً بأن السلام هو الخيار الوحيد المتاح لهذه الدولة ، إذا كانت تريد حقاً الاستمرار في هذه المنطقة التي ترفضها ، وإذا كانت تريد حقاً تنحية الخيارين الآخرين : " العزلة والعقوبات " من جانب ، و " الإبادة " و " الحل النهائي " من جانب آخر . فيقول الراوي :

" **במבזק כלשהו צוטט חבר קבינט פלסטיני מרמאללה שאמר : תמיד אמרתם שהיה הרבה יותר נוח אם היינו צריכים לעשות שלום עם נורווגיה , אבל אנחנו תקועים עם הפלסטינים , אז עכשיו אתם בדרך לנורווגיה ועדיין אתם תקועים עם הפלסטינים** " [٩٢] .

" وفي أحد عناوين الأخبار تم الاستشهاد بكلمات عضو مجلس الوزراء الفلسطيني في رام الله ، والذي قال : قلتم دائماً إن الأمر كان سيغدو أسهل بكثير لو كان يتطلب منّا إقامة علاقات طيبة مع النرويج ، لكن المشكلة أننا عالقون مع الفلسطينيين ، وها أنتم الآن في طريقكم إلى النرويج ، ومازلتم عالقين مع الفلسطينيين " .

فالإسرائيلي يحمل بداخله خوفاً متأصلاً من الفلسطينيين ، ويصبح الأسهل بالنسبة له تجاهل " المسألة الفلسطينية " التي تَسبَّب في صنعها سنة ١٩٤٨ ، لكن تظل المسألة الفلسطينية في كل الأحوال تمثل أزمة عميقة بداخله ، كما يقول الباحث الإسرائيلي " عادي

أوفير " עדי אופיר : " عندما نطرح ذكرى النكبة بين اليهود ، فإن الإجابات المتوقعة تتراوح بين الإحساس بالتهديد ، والإنكار ، والعدائية ، وأحياناً الهيستيريا . وسرعان ما يتضح أن الخوف الحقيقي هو الخوف من العودة ، وأن الخوف من العودة هو الخوف الحقيقي ؛ ذلك أننا لو اعترفنا بأننا طردناهم ، سنضطر لأن نسمح لهم بالعودة " [٩٣] . فإسرائيل ، داخل النص ، تظل تتهرب من حل هذه الإشكالية ، حتى تفاجأ قسراً ، ودون رغبة منها ، بأن الأرض تبحر – حاملةً معها الفلسطينيين – إلى النرويج ، حيث تم عقد اتفاقات أوسلو سنة ١٩٩٣ ، وهي إشارة واضحة من النص إلى حتمية السلام وضرورته ، وأن السلام قادم لا محالة سواءً رغبت إسرائيل في ذلك أو لم ترغب .

وعلى هذا النحو تؤكد رواية " أبحرت الأرض " لـ " حاجاي داجان " أن " السلام " ليس رفاهية ، أو تفضلاً من إسرائيل ، لكنه خيار تُمليه الضرورة ، وأن عليها أن تعترف بحقوق الآخر الفلسطيني ؛ لأنه جزء أصيل من هذه الأرض ، وإذا كان ثمة أحد وافد على هذه المنطقة فهو " اليهودي " الذي يجب ، إن أراد البقاء والاستمرار ، أن يُعيد صياغة الأسس التي أنشأ الدولة الإسرائيلية وفقاً لها ، بحيث تتحول إسرائيل من " ديمقراطية عرقية " إلى "ديمقراطية ليبرالية " تعددية ، تعتمد " المواطنة " و " الفصل بين الدين والدولة " .

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة يطرح الباحث النتائج التي توصل إليها :

- أظهرت الدراسة عمق وأبعاد أزمة الانتماء التي يعاني منها الإسرائيليون في الرواية المعنية بالبحث ؛ الأزمة التي تتمحور بشكل رئيس حول علاقتهم بالأرض ، مما يُعدّ ارتداداً ونكوصاً عن مفهومي " الصبّار " و " اليهودي الجديد " في الفكر الصهيوني ، وعودة إلى الأفكار الندماجية عند أجيال الهسكالا .. مع فارق أن فلسطين هذه المرة هي موطن هذا الاندماج ما بعد الصهيوني .
- كشفت الدراسة عن تحميل رواية " أبحرت الأرض " لـ " حاجاي داجان " الحركة الصهيونية مسئولية هذا التردي في العلاقة بين الإسرائيليين والأرض ، وأن الحركة

الصهيونية قد خدعت اليهود الذين هاجروا إليها ، والإسرائيليين لاحقاً ، عندما صوّرت لهم أن هذا " الوطن " سوف يصبح " ملاذاً آمناً " ، و " نوراً للشعوب " ، على العكس من الواقع المعيش الذي يشي وفقاً للرواية بأن إسرائيل في طريقها إلى المزيد من " العزلة الدولية " ، وإلى المزيد من الصراع مع الفلسطينيين والدول العربية المحيطة .

- أوضحت الدراسة دعوة الرواية إلى إقامة دولة علمانية شاملة ، دولة تفصل بين " الدين " و" السياسة " ، وتتمركز حول مفهوم " المواطنة " ، وتعتبر الدين شأناً شخصياً ، وتختلف تماماً عن " الديمقراطية الإثنية " التي أقامتها الحركة الصهيونية ؛ وأدت إلى كل ما يعانيه الإسرائيليون داخل النص من إحساس بـ " عدم الانتماء " .
- أبرزت الدراسة تناص رواية " أبحرت الأرض " لـ " حاجاي داجان " مع أفكار " الحركة الكنعانية " في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين ، بيد أنه تناص مقلوب يعترض على الكثير من هذه الأفكار ؛ بدءاً من اعتبار اللغة العبرية أحد روافد اللغة الكنعانية ، وانتهاء بتحديد مكان الدولة العلمانية المستهدف إقامتها بين " نهر الأردن " شرقاً و " البحر المتوسط غرباً ، وهو ما يجعل تلك الأفكار التي يطرحها النص أكثر معقولية ومطابقة للواقع المعيش من تلك التي طرحتها " الحركة الكنعانية " ، واعتُبرت حينها مفارقة للواقع التاريخي ومنطق الأمور .
- أكدت الدراسة النظرة الجديدة إلى الفلسطينيين باعتبارهم " أصحاب الأرض الأصليين "، والمُكوّن الحضاري الرئيس بها ؛ وهو ما يُوجب إعطاءهم حقوقهم ، فلا يوجد أي مستقبل سياسي لهذه " الأرض " بمعزل عن الفلسطينيين وإقامة سلام حقيقي معهم .
- كشفت الدراسة عن اتساق كامل في الرؤى بين " داجان " و " جوزيه ساراماجو " ، الأديب الذي استوحى منه " داجان " فكرة روايته ، خاصةً فيما يتعلق بالنظرة إلى دولة إسرائيل باعتبارها لا تختلف كثيراً عن ألمانيا النازية ، من حيث اضطهادها للفلسطينيين العُزّل .. وصولاً إلى ممارساتها القمعية كافة تجاه الآخر الفلسطيني .

الهوامش :

(١) **דגן , חגי . הארץ שטה . חרגול הוצאה לאור . ת''א 2007 .**

(٢) **حاجاي داجان : أديب إسرائيلي من مواليد كيبوتس " عين همفراتس " עין המפרץ شمال إسرائيل سنة ١٩٦٤ . درس الفلسفة ، واللاهوت والفكر الإسرائيلي في جامعة تل أبيب وجامعة فرايبورغ بألمانيا ، ويعمل حالياً بالتدريس في قسم الفكر الإسرائيلي في جامعة بن جوريون بالنقب و "كلية سابير " מכללת ספיר . وحصل سنة ٢٠٠٧ على جائزة رئيس الوزراء للكتاب العبريين . ولـ " داجان " ديوان شعري واحد هو " קוי מתאר של כמיהה " " الخطوط العريضة للشوق " (١٩٩١) . وتُعد رواية " أبحرت الأرض " عمله الروائي الرابع ، حيث نشر قبلها رواية " רשומות מאי הנשים " " تسجيلات من جزيرة النساء " (١٩٩٩) ، ورواية " מתחת לקו העונג " " تحت خط المتعة " (٢٠٠١) ورواية " למלך אין בית " " لا بيت للملك " (٢٠٠٥) .. كما نشر بعدها روايته الخامسة " שדים ברחוב אגריפס " " شياطين في شارع أجريباس " (٢٠١٢) . بالإضافة إلى تأليفه الكتب التالية : " המיתולוגיה היהודית " " الميثولوجيا اليهودية " (٢٠٠٣) ، و " יהדות : תמונה קבוצתית " " اليهودية : صورة جماعية " (٢٠٠٥) و " האל האחר : עיונים בכמה מופעים דמוניים של האל בספרות המקראית " " الإله الآخر : تأملات في بعض التجليات الشيطانية للإله في الأدب المقرائي " (٢٠١٦) .**

للمزيد انظر :

לקסיקון הספרות העברית החדשה . ניתן למצוא ב :

https://library.osu.edu/projects/ hebrew-lexicon/00495. **נכנס ב** : 13 / 10 / 2017. **השעה** : 5 : 14 pm .

(٣) **فك الارتباط : "كان فك الارتباط عن غزة وشمال السامرة أحد الأحداث الدامية للغاية في تاريخ دولة إسرائيل، فلأول مرة منذ حرب الأيام الستة تقرر حكومة إسرائيلية فك الارتباط أحادي الجانب عن المناطق التي احتلتها في حرب الأيام الستة ، بدون تسوية وبدون شروط . وفي عملية فك الارتباط هذه حادت الحكومة بشكل حاد عن المفاهيم السياسية والأمنية البارزة التي تبلورت في أعقاب الحرب ، وكانت بمثابة حجر الأساس في السياسة الخارجية والأمنية الإسرائيلية ، حيث قررت : ١ – الانسحاب من هذه المناطق دون قيد أو شرط ، بما يتناقض مع مفهوم " الأرض مقابل السلام " . ٢ – الانسحاب لحدود ٤ يونيو ١٩٦٧ م في قطاع غزة . ٣ – إلغاء مبدأ أهمية المنطقة من الناحية الأمنية ، بما في ذلك الحاجة إلى الفصل المادي بين غزة ومصر . ٤ – إلغاء أهمية قيمة الاستيطان من الناحيتين الأمنية والصهيونية " .**

בר – סימן – טוב , יעקב (עורך) . תכנית ההתנתקות : הרעיון ושברו . מכון ירושלים לחקר ישראל , קרן קונרד אדנאור . ירושלים 2009 . עמ' 11 .

(٤) يتخيل ساراماجو في هذه الرواية " انفصال شبه الجزيرة الأيبيرية : إسبانيا والبرتغال ، عن أوروبا ، وتحديداً عن جبال البرانس التي يعتبرها المتطرفون الأوروبيون الحد الجنوبي لقارتهم ، وإبحار هذه الكتلة الضخمة من الأرض في مياه المحيط الأطلنطي دون توقف ، وما يترتب على ذلك من آثار جغرافية وسياسية واقتصادية واجتماعية " ، وذلك في ضوء معارضة " العديد من المتطرفين الغربيين الذين يرون في البرتغال وإسبانيا عالماً متخلفاً لا يجب أن ينتمي إلى أوروبا ، وربما كانت المقولة الشهيرة لبعض متطرفيها : " أوروبا تنتهي عند جبال البرانس ، وما هو جنوبها ينتمي إلى أفريقيا " " – حاضرة عند كتابته هذه الرواية .

للمزيد انظر :

طلعت شاهين . مقدمة الترجمة العربية لرواية الطوف الحجري . في : جوزيه ساراماجو : الطوف الحجري . ترجمة وتقديم : د. طلعت شاهين . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ٢٠٠٧ . ص ٢٢ .

(٥) דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 3 .

(٦) نقلاً عن : طلعت شاهين . مقدمة الترجمة العربية لرواية الطوف الحجري . في : جوزيه ساراماجو : الطوف الحجري . مرجع سابق . ص ١٨ .

(٧) زين العابدين أبو خضرة . جيل يبحث عن هوية : دراسة في قصة جبل المكبر للكاتب الإسرائيلي " عاموس عوز" . مركز الدراسات الشرقية – جامعة القاهرة . سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية ، العدد (١٨) . القاهرة ٢٠٠٦.

(٨) أحمد حماد . اغتراب الشخصية اليهودية في الأدب العبري الحديث . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ٢٠١٢ .

(٩) مصطلح اخترعته الصهيونية العلمانية حتى يتسنى لها لاحقاً المطالبة بـ " حق تقرير المصير " **זכות ההגדרה העצמית** لهذا " الشعب " المتخيل على أرض فلسطين ، وكان هذا المصطلح جديداً حتى على اليهود أنفسهم ؛ فـ " قبل مائتي عام كان بالإمكان تعريف اليهودي كمن يؤمن بدين موسى ، وهذا التعريف كان يشمل ٩٩ في المائة من أبناء الشعب اليهودي المنتشر في كافة أرجاء العالم " [١] . بل إن " هرتسل " نفسه لم يكن يؤمن بشيء اسمه " الشعب اليهودي " ، كما يقول الباحث الإسرائيلي " عكيڤا أور " **עקיבא אור** : " كان هرتسل مندمجاً ، وكان يعتقد في البداية أن اليهود طائفة دينية فقط ، ولذلك اقترح سنة ١٨٩٣ (قبل أن يصبح صهيونياً) أن يتنصر كل يهود النمسا ، مع زعمائهم ، علناً في الماتدرائية الرئيسية قي ڤيينا " [٢] .

١ – أ.ب يهوشع . أنا إسرائيلي . في : محمد حمزة غنايم (تحرير) . العودة إلى الصحراء : دراسات وشهادات في الثقافة العبرية . منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة . رام الله ٢٠٠٢ . ص ١٧١ – ١٧٢ .

٢ – אור , עקיבא . אלטרנטיבה למדינה פסיכוטית . 2002 . ניתן למצוא ב : www.akiorrbooks.com/files/alternative.pdf . נכנס ב : 29 . 10 . 2017 . השעה : 17 : 10 . PM

(١٠) " التحرير الذاتي " **אמנציפציה עצמית** : " عبارة عن كراسة من تأليف الطبيب اليهودي " يهودا ليڤ بينسكر " **יהודה ליב פינסקר** (١٨٢١ – ١٨٩١) صدرت عام ١٨٨٢ في برلين بتوقيعه المستعار " يهودي روسي " ، وتمت ترجمتها إلى عدة لغات أوروبية ، وترجمها إلى العبرية آحاد هعام ، ثم ظهرت بترجمات عبرية متعددة . وعبّر بينسكر في كراسته هذه عن قلق اليهود في أوروبا وخوفهم بعد فشل " حركة التحرر والمساواة " **אמנציפציה** ، وبروز ظواهر لاسامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ... ويقترح بينسكر حلاً واحداً ووحيداً لمعالجة هذه الحالة المرضية النفسية عند الأغيار ، وهي عن طريق حل مشكلة أو قضية اليهود بواسطة إخراجهم (ترحيلهم) من وسط الشعوب التي يقيمون بينها ، وتركيزهم في منطقة خاصة بهم " .

جوني منصور . معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية . مدار : المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية . رام الله ٢٠٠٩ . ص ٥٩ .

(١١) " معاداة السامية " **האנטישמיות** : " أكد مفكرو الصهيونية الكلاسيكية وناشطوها (خاصة أولئة القريبين من الصهيونية السياسية) مركزية عنصر معاداة السامية (أو " ضائقة اليهود " بلغة إحاد هعام) كدافع لتبلور المشروع الصهيوني . فحياة اليهود وسط المجتمع الأوروبي وصلت إلى نهايتها – هكذا اعتقد أولئك المفكرون – وفقط الفصل المتبادل ؛ أي هجرة اليهود من الدول الأوروبية ، وتجميعهم في دولة خاصة بهم ، من شأنه أن يحل هذه الإشكالية " .

פריזל , אביתר . החברה הישראלית והרעיון הציוני : תמורה והמשך . בתוך : פנחס גינוסר (עורך) . עיונים בתקומת ישראל , כרך 8 . שדה בוקר 1998 . עמ' 37 .

(١٢) " الصهيونية الإقليمية " **ציונות טריטוריאליסטית** : " صهيونية تقول بفشل الاندماج وبضرورة إنشاء دولة صهيونية ، إلا أنها لا ترى ضرورة حتمية إنشائها في فلسطين . وأبرز قادة هذه المدرسة الروائي البريطاني " إسرائيل زانغويل " الذي أحدث انقساماً في الحركة الصهيونية عام ١٩٠٣ عندما عرضت بريطانيا على الصهيونيين مشروع شرقي أفريقيا لتعذر الاستيلاء على فلسطين آنذاك .

عبد الوهاب الكيالي . موسوعة السياسة . الجزء الثالث . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ١٩٨٣ . ص ٦٦١ – ٦٦٢ .

(١٣) " الصهيونية العامة " **הציונות הכללית** : " على إثر الانقسامات التي تبلورت عام ١٩٠٣ تمسكت الغالبية العظمى من الصهيونيين بالخط الصهيوني الوسطي العام المستند إلى المطالبة بالمصلحة " القومية " بصرف

النظر عن الانتماء الطبقي . وكانت متطلبات الانتماء إلى هذا التيار بسيطة : عضوية المنظمة الصهيونية العالمية ، وسداد رسوم العضوية بالشيكل ، والالتزام ببرنامج بال ... ويُعتبر " حاييم وايزمان " و " ناحوم جولدمان " أشهر الصهاينة العموميين " .

عبد الوهاب الكيالي . موسوعة السياسة . الجزء الثالث . مرجع سابق . ص ٦٦٥ .

(١٤) " أرض إسرائيل " **ארץ ישראל** : " هي الأرض التي تزعم إسرائيل أن كتبها المقدسة حددتها لليهود ، وأنها مركزهم الوطني والديني " .

إفرايم ومناحم تلمي . معجم المصطلحات الصهيونية . ترجمة : أحمد بركات العجرمي . دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية . عمّان ١٩٨٨ . ص ٣٣ .

(١٥) وفي هذا الإطار يقول باحث القابالا الدكتور " ميخال ليتمان " **מיכאל לייטמן** : " ما يحدث الآن في أرض إسرائيل لا يحدث في أمريكا ، أو روسيا أو أي مكان آخر يعيش فيه اليهود ، هذا يحدث فقط هنا . ذلك لأن هذه الأرض أُعطيت لشعب إسرائيل من الأعلى ، وعلى هذا الشعب أن يعود لمرتبة " أرض إسرائيل " الروحانية ؛ لأن " أرض إسرائيل " معناها أن تتوجه الإرادة الجماعية للشعب مباشرةً صوب الخالق ، وحينئذٍ فقط سيصل شعب إسرائيل إلى المرتبة التي ستحقق له الأمن في أرض إسرائيل ، ولن يتمكن أحد من إيذائه ، سنعيش هنا كالملوك " . وعلى هذا النحو فإن اليهودي الذي لن يشارك في هذا الحدث – بهجرته إلى إسرائيل – ستغدو يهوديته ناقصة .

לייטמן , מיכאל . מבט לקבלה . הוצאת קבלה לעם 2006 . עמ' 161 .

(١٦) Berkowitz , Michael . Zionist Culture and West European Jewry Before The First War . Cambridge University Press . Cambridge 1993 . P. 164 .

(١٧) **דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 173 – 174 .**

(18) Almog , Oz . The Sabra : The Creation of The New Jew . Translated By Haim Watzman . University of California Press . Berkeley , Los Angeles , London 2000 . P. 4 .

(١٩) " البالماح " **הפלמ"ח** : " اختصار بالعبرية لـ **פלוגות המחץ** (سرايا التحطيم) . كانت الفكرة من وراء إنشاء هذه السرايا العمل من أجل مواجهة احتمال قيام قوات ألمانية بغزو فلسطين بعد سقوط فرنسا وإقامة حكومة فيشي فيها ... وقد صدرت الأوامر بتشكيل سرايا (البالماح) في ١٠ أيار ١٩٤١ ... وبلغ عدد أفراد (البالماح) العام ١٩٤٧ حوالي ٢٠٠٠ مقاتل مع احتياطي بلغ حوالي ١٠٠٠ مقلتل . وتم تفكيك (البالماح) في تشرين الثاني ١٩٤٨ إثر صدور قرار من حكومة إسرائيل برئاسة بن جوريون ، وانضمت سراياه إلى الجيش الإسرائيلي " .

جوني منصور . معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية . مرجع سابق . ص ٩٤ .

(٢٠) رشاد عبدالله الشامي . إشكالية الهوية في إسرائيل . عالم المعرفة ، العدد ٢٢٤ . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت ١٩٩٧ . ص ٨٠ .

(٢١) **שוחט , אלה . זיכרונות אסורים : לקראת מחשבה רב – תרבותית . הוצאת בימת קדם לספרות 2001 . עמ' 210 .**

(22)Butenschon , Nils A. . Israel as a Regional Great Power : Paradoxes of Regional Alienation . in : Iver B. Neumann (Editor) . Regional Great Powers in International Politics . Macmillan Press . London 1992 . P. 95 .

(٢٣) **דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 172 .**

(٢٤) أحمد الشحات هيكل . يهود المغرب : تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية . مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية ، العدد (٣٥) . القاهرة ٢٠٠٧ . ص ٩١ .

(٢٥) **דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 172 – 173 .**

(26)Shohat , Ella . Israeli Cinema : East / West and The Politics of Representation . University of Texas Press . Austin 1989 . P. 3 .

(٢٧) **דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 165 .**

(٢٨) بوعز عڤرون . الحساب القومي . ترجمة : د. محمد محمود أبو غدير . مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة . القاهرة ١٩٩٥ . ص ٢٩٢ .

(٢٩) محمد محمود أبو غدير . الشخصية الإسرائيلية بين العالمية والخصوصية : انعكاساتها داخلياً وإقليمياً . مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية ، العدد (٣٧) . القاهرة ٢٠٠٨ . ص ١٠٩ .

(30)Pianko , Noam . Jewish Peoplehood : An American Innovation . Rutgers University Press . New Brunswick , New Jersey and London 2015 . P. 15 .

(٣١) **דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 147 .**

(32)Meir-Levi , David . History Upside Down : The Roots of Palestinian Fascism and The Myth of Israel Aggression . Brife Encounters , Encounters Books . New York , London 2007 . P. 77 .

(٣٣) **בן מאיר , יהודה ואלתרמן , אוון . איום הדה – לגיטימציה – שורשיו , גילוייו והמאבק בו . בתוך : קורץ , ענת ; ברום , שלמה (עורכים) . הערכה אסטרטגית לישראל 2011 . המכון למחקרי ביטחון לאומי . תל – אביב 2011 . עמ' 108 .**

(٣٤) عاطف أبو سيف . إسرائيل وشمال أوروبا : علاقة متواصلة رغم الاهتزاز . في : عاطف أبو سيف (تحرير) . علاقات إسرائيل الدولية : السياقات والأدوات ، الاختراقات والإخفاقات . مدار : المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية . رام الله ٢٠١٤ . ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٣٥) **מיכאל , קובי . בין ישן לחדש – מאמצי הדה – לגיטימציה במבחן הזמן . בתוך : יוגב , עינב ולינדשטראוס , גליה (עורכות) . תופעת הדה – לגיטימציה : אתגרים ומענים . המכון למחקרי ביטחון לאומי . תל – אביב 2017 . עמ' 21 .**

(٣٦) **בן מאיר , יהודה ואלתרמן , אוון . איום הדה – לגיטימציה – שורשיו , גילוייו והמאבק בו . שם . עמ' 108 .**

(٣٧) **דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 101 – 102 .**

(٣٨) **יער , אפרים ; שביט , זאב . רקע היסטורי לדיון בחברה הישראלית : האידיאולוגיה הציונית והחברה היישובית . בתוך : יער , אפרים ; שביט , זאב (עורכים) . מגמות בחברה הישראלית , כרך א . האוניברסיטה הפתוחה . רעננה 2001 . עמ' 2 .**

(٣٩) جمال عبد السميع الشاذلي ، نجلاء رأفت سالم . دراسات في الصهيونية . الطبعة الرابعة . الثقافة الجديدة للنشر والتوزيع . القاهرة ٢٠١٦ . ص ١٠٠ .

(٤٠) عبد الوهاب المسيري . الأيديولوجية الصهيونية : دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة . الجزء الثاني . عالم المعرفة ، العدد ٦١ . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت ١٩٨٣ . ص ١٥ .

(٤١) **דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 118 .**

(٤٢) **פונד , יוסף . תנועה בחרבות : מנהיגות אגודת ישראל לנוכח השואה . הוצאת ראובן מס ירושלים . ירושלים 2008 . עמ' 293 .**

(٤٣) أحمد حماد . اغتراب الشخصية اليهودية في الأدب العبري الحديث . مرجع سابق . ص ٢٠٦ .

(٤٤) **דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 56 .**

(٤٥) **גורני , יוסף . האכזבה שבאה עם ההצלחה : שיחה עם פרופ' יוסף גורני . מפנה , כתב–עת לענייני חברה , יוצא לאור על ידי טבנקין ויד יערי , מס' 52 , דצמבר 2006 . עמ' 5 .**

(٤٦) **אבינרי , שלמה . האוטופיה הציונית של הרצל – חלום ושברו . קתדרה , כתב–עת לתולדות ארץ ישראל ויישובה , גיליון 40 , ירושלים 1986 . עמ' 192 .**

(٤٧) **גביזון , רות ; עוז–זלצברג , פניה . ישראל כמדינה לאומית וליברלית . משפט ואדם – משפט ועסקים , כרך יד , ספטמבר 2012 . עמ' 297 .**

(٤٨) פדהצור , ראובן (עורך) . החברה בישראל והביטחון הלאומי . מרכז ש. דניאל אברהם לדיאלוג אסטרטגי , המכללה האקדמית נתניה . נתניה 2009 . עמ' 5 .

(٤٩) דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 120 .

(٥٠) מצוטט מן : מזור , יוסף . ציונות , פוסט–ציונות והבעיה הערבית : אוסף מקורות ושלל דעות . גפן בית הוצאה לאור . ירושלים 2011 . עמ' 26 .

(٥١) דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 23 , 25 – 26 .

(٥٢) וסרמן , הנרי . עם , אומה , מולדת : על ראשיתם , תולדותיהם ואחריתם של שלוש מושגים מחוללי – לאומיות . האוניברסיטה הפתוחה . רעננה 2007 . עמ' 24 .

(٥٣) شلومو ساند . اختراع الشعب اليهودي . الطبعة الثانية . ترجمة : سعيد عياش . مدار : المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية . رام الله ٢٠١٣ . ص ٣٩١ .

(٥٤) דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 149 .

(٥٥) נויברגר , בנימין . דת ודמוקרטיה בישראל . מכון פלורסהיימר למחקרי מדיניות . ירושלים 1997 . עמ' 8 .

(٥٦) סמוחה , סמי . המשטר של מדינת – ישראל : דמוקרטיה אזרחית , אי דמוקרטיה או דמוקרטיה אתנית . סוציולוגיה ישראלית , כתב–עת לחקר החברה הישראלית , כרך ב , מס' 2 . הוצאת רמות – אוניברסיטת תל–אביב . תל–אביב 2000 . עמ' 565 .

(٥٧) كاظم علي مهدي . ما بعد الصهيونية . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ٢٠١٦ . ص ٧٠ .

(٥٨) בר – און , מרדכי . פוסט–ציונות ואנטי ציונות : הבחנות , הגדרות , מיון הסוגיות וכמה הכרעות אישיות . בתוך : גינוסר , פנחס ; בראלי , אבי (עורכים) . ציונות – פולמוס בן זמננו : גישות מחקריות ואידאולוגיות . המרכז למורשת בן גוריון , אוניברסיטת תל–אביב , אוניברסיטת בן–גוריון 1997 . עמ' 476 .

(٥٩) דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 171 – 172 .

(60) Masalha , Nur . The Palestine Nakba : Decolonizing History , Narrating The Subaltern ' Declaiming Memory . Zed Books . London & New York 2012 . P. 20 .

(٦١) " شمعون دوڤونوڤ " : " من كبار المؤرخين اليهود في العصر الحديث . وضع مؤلّفه المركزي بعنوان (التاريخ الشامل لليهود) بالروسية ، ثم تُرجم إلى العبرية في أحد عشر جزءاً بعنوان (تاريخ العالم) . أما نظرته الأساسية فهي أن تاريخ الشعب الإسرائيلي قد شهد تقلبات كثيرة فقد خلالها مراكز مهمة في حياته ، مثل : " أرض إسرائيل " ، وإسبانيا ، وبابل وبولندا ، وغيرها ، إلا أن هذا الشعب مازال يعيش في وحدة قومية موحدة

بدون إطار دولة ... لم يؤمن بضرورة العمل الصهيوني أو إقامة دولة صهيونية في فلسطين ، مع العلم أنه لم يرفض فكرة أن تكون مركزاً روحياً لليهود ، وهنا يظهر تأثره بآراء إحاد هعام " .

جوني منصور . معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية . مرجع سابق . ص ٢٣٤ .

(62)Citied in : F. Noble , David . Beyond The Promised Land : The Movement and The Myth . Between The Lines . Toronto , Canada 2005 . P. 43 .

(٦٣) **בר – און , דן . שבין גרמנים , ישראלים – יהודים ופלסטינים . סדק , כתב–עת לנכבה שכאן , גיליון 1 , מאי 2007 . עמ' 107 .**

(٦٤) **מכמן , דן . משואה לתקומה ! משואה , לתקומה ? : ההיסטוריוגרפיה של הקשר הסיבית בין השואה להקמת מדינת ישראל – בין מיתוס למציאות . עיונים בתקומת ישראל , מאסף לבעיות הציונות , היישוב ומדינת ישראל , כרך 10 . המרכז למורשת בן–גוריון . שדה בוקר 2000 . עמ' 236 – 237 .**

(65)Shaked , Ronni . Ethos of Conflict of The Palestinian Society . In : Sharvin , Keren ; Halperin , Eran (Editors) . A Social Psychology Perspective on The Israeli – Palestinian Conflict , Celebrating The Legacy of Danial Bar – Tal , Vol II. Spring International Publishing . Switzerland 2016 . P. 142 .

(66)Yakobson , Alexander and Rubinstein , Amnon . Israel and The Family of Nations : The Jewish Nation – State and Human Rights . Routledge , Taylor & Francis Group . London and New York 2009 . P. 65 .

(٦٧) **דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 67 , 68 .**

(٦٨) **שוורץ , דב . הציונות הדתית ורעיון האדם החדש . ישראל , כתב–עת לחקר הציונות ומדינת ישראל – היסטוריה , תרבות , חברה , גיליון 16 , 2009 . עמ' 144 .**

(٦٩) **לייטמן , מיכאל . שני המאורות הגדולים : הרב קוק ובעל הסולם על גאולת ישראל . מהדורה שנייה . המכון למחקר ע''ש הרב אשלג 2007 . עמ' 244 .**

(70)Pedahzur , Ami ; Perliger , Arie . Jewish Terrorism in Israel . Columbia Studies in Terrorism and Irregular Warfare . Columbia University Press . New York 2009 . P. 165 .

(71)Masalha , Nur . The Bible and Zionism : Invented Traditions , Archaeology and Post – Colonialism in Palestine – Israel . Zed Books . London & New York 2007 . P. 217 .

(٧٢) " الحركة الكنعانية " **התנועה הכנענית** : " حركة سياسية ثقافية ذات نظرة خاصة لـ " التاريخ اليهودي " . والتسمية التي اشتهرت بها هذه الحركة – وهي الكنعانية – تسمية أطلقها عليها من قبيل السخرية الشاعر العبري " أبراهام شلونسكي " (١٩٠٠ – ١٩٧٣) استناداً إلى الفقرة التوراتية " فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته " (التكوين ٩ : ٢٥) . أما الاسم الحقيقي لهذه الحركة فهو " حركة العبريين الشبان " ،

وقد جاء أول ظهور لها من خلال كتيب نُشر عام ١٩٤٣ م تحت عنوان " رسالة إلى المقاتلين من أجل حرية إسرائيل "كتبه الشاعر " يوناتان راتوش " .

للمزيد انظر : عبد الخالق عبدالله جبه . قضايا إسرائيلية – صهيونية في الأدب العبري الحديث . مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية ، العدد (١٦) . القاهرة ٢٠٠٥ . ص ١٩٥ .

(٧٣) דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 152 .

(٧٤) إسرائيل ولڤنسون . تاريخ اللغات السامية . دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ٢٠١٦ . ص ٧٥ .

للمزيد انظر : عبد الخالق عبدالله جبه . قضايا إسرائيلية – صهيونية في الأدب العبري الحديث . مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية ، العدد (١٦) . القاهرة ٢٠٠٥ . ص ١٩٥ .

(٧٥) Almog , Oz . The Sabra : The Creation of The New Jew . Ibid . P. 186 .

(٧٦) زين العابدين أبو خضرة . جيل يبحث عن هوية : دراسة في قصة جبل المكبر للكاتب الإسرائيلي " عاموس عوز " . مرجع سابق . ص ٤١ .

(٧٧) דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 166 .

(78)Almog , Oz . The Sabra : The Creation of The New Jew . Ibid . P. 186 .

(79)Shavit , Yaacov . The New Hebrew Nation : A Study in Israeli Heresy and Fantasy . Frank Cass . Totowa , USA 1987 . P. 56 .

(٨٠) رشاد عبدالله الشامي . إشكالية الهوية في إسرائيل . مرجع سابق . ص ٤٧ .

(٨١) أُرنان اليبوسي : شخصية ذكرت في المقرا ، أخبار الأيام الأول ٢١ : ١٥ – ٣٠ .

(٨٢) דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 103 .

(٨٣) جياني فاتيمو ومايكل ماردر . " إن لم يكن الآن ، فمتى ؟ " . في : جياني فاتيمو ومايكل ماردر (تحرير) . تفكيك الصهيونية : نقد ميتافيزيقا سياسية . ترجمة : عدنان حسن . منتدى العلاقات العربية والدولية . قطر ٢٠١٥ . ص ١٧ .

(٨٤) דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 115 .

(85)Gavron , Daniel . The Other Side of Despair : Jews And Arab in The Promised Land . Rowman & Littlefield Publishers , ILLC . London 2004 . P. 229 .

(٨٦) דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 100 .

(٨٧) العادل خضر . عزلة الكائن . ١٢ . ١ . ٢٠١٧ . جريدة التحاد الإماراتية ، الملحق الثقافي . متاح في : www.alittihad.ae/details.php?id=2032&=2017&article=full . تاريخ الدخول : ٢٤ . ١٠ . ٢٠١٧ . الساعة ٤٣ : ٨ م .

(88)De La Durantaye , Leland . Giorgio Agamben : A Critical Introduction . Stanford University Press . Stanford , California 2009 . P. 262 – 263 .

(89)Agamben , Giorgio . Remnants of Aushwitz : The Witness and The Archive . Translated by Daniel Heller – Roazen . Zone Books . New York 1999 . P. 45 .

(90)Zalloua , Zahi . Continental Philosophy and The Palestinian Question : Beyond The Jew and The Greek . Bloomsbury Academic . London and New York 2017 . P. 44 .

(٩١) **אלרואי , גור . " מבקשי מולדת " : תנועת הליגה לארץ חופשית (הפריילנד ליגע) , היישוב ומדינת ישראל , 1934 – 1956 . עיונים בתקומת ישראל , כרך 15 , 2005 . עמ' 414 .**

(٩٢) **דגן , חגי . הארץ שטה . שם . עמ' 178 .**

(٩٣) **אופיר , עדי . שיבה כאוטופיה . סדק , כתב–עת לנכבה שכאן , גיליון 4 , יולי 2009 . עמ' 97 .**

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : باللغة العربية

١ – الكتب

– أحمد الشحات هيكل . يهود المغرب : تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية . مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية ، العدد (٣٥) . القاهرة ٢٠٠٧ .

– أحمد حماد . اغتراب الشخصية اليهودية في الأدب العبري الحديث . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ٢٠١٢ .

– إسرائيل ولڤنسون . تاريخ اللغات السامية . دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ٢٠١٦ .

– بوعز عڤرون . الحساب القومي . ترجمة : د. محمد محمود أبو غدير . مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة . القاهرة ١٩٩٥ .

– جمال عبد السميع الشاذلي ، نجلاء رأفت سالم . دراسات في الصهيونية . الطبعة الرابعة . الثقافة الجديدة للنشر والتوزيع . القاهرة ٢٠١٦ .

– جوزيه ساراماجو : الطوف الحجري . ترجمة وتقديم : د. طلعت شاهين . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ٢٠٠٧ .

– جياني فاتيمو ومايكل ماردر (تحرير) . تفكيك الصهيونية : نقد ميتافيزيقا سياسية . ترجمة : عدنان حسن . منتدى العلاقات العربية والدولية . قطر ٢٠١٥ .

– رشاد عبدالله الشامي . إشكالية الهوية في إسرائيل . عالم المعرفة ، العدد ٢٢٤ . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت ١٩٩٧ .

– زين العابدين أبو خضرة . جيل يبحث عن هوية : دراسة في قصة جبل المكبر للكاتب الإسرائيلي " عاموس عوز " . مركز الدراسات الشرقية – جامعة القاهرة . سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية ، العدد (١٨) . القاهرة ٢٠٠٦ .

– شلومو ساند . اختراع الشعب اليهودي . الطبعة الثانية . ترجمة : سعيد عياش . مدار : المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية . رام الله ٢٠١٣ .

– عبد الخالق عبدالله جبه . قضايا إسرائيلية – صهيونية في الأدب العبري الحديث . مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية ، العدد (١٦) . القاهرة ٢٠٠٥ .

– عبد الوهاب المسيري . الأيديولوجية الصهيونية : دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة . الجزء الثاني . عالم المعرفة ، العدد ٦١ . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت ١٩٨٣ .

– عاطف أبو سيف (تحرير) . علاقات إسرائيل الدولية : السياقات والأدوات ، الاختراقات والإخفاقات . مدار : المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية . رام الله ٢٠١٤ .

– كاظم علي مهدي . ما بعد الصهيونية . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ٢٠١٦ .

– محمد حمزة غنايم (تحرير) . العودة إلى الصحراء : دراسات وشهادات في الثقافة العبرية . منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة . رام الله ٢٠٠٢ .

– محمد محمود أبو غدير . الشخصية الإسرائيلية بين العالمية والخصوصية : انعكاساتها داخلياً وإقليمياً . مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية ، العدد (٣٧) . القاهرة ٢٠٠٨ .

٢ - مواقع الإنترنت

– العادل خضر . عزلة الكائن . ١٢- ١- ٢٠١٧ . جريدة التحاد الإماراتية ، الملحق الثقافي . متاح في :
www.alittihad.ae/details.php?id=2032&=2017&article=full .
تاريخ الدخول : ٢٤ . ١٠ . ٢٠١٧ . الساعة ٤٣ : ٨ م .

٣ - المعاجم والموسوعات

– إفرايم ومناحم تلمي . معجم المصطلحات الصهيونية . ترجمة : أحمد بركات العجرمي . دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية . عمّان ١٩٨٨ .

– جوني منصور . معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية . مدار : المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية . رام الله ٢٠٠٩ .

– عبد الوهاب الكيالي . موسوعة السياسة . الجزء الثالث . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ١٩٨٣ .

ثانياً : باللغة العبرية

١ – המקורות

- דגן , חגי . הארץ שטה . חרגול הוצאה לאור . ת"א 2007 .

٢ – הספרים

- בר – סימן – טוב , יעקב (עורך) . תכנית ההתנתקות : הרעיון ושברו . מכון ירושלים לחקר ישראל , קרן קונרד אדנאור . ירושלים 2009 .
- וסרמן , הנרי . עם , אומה , מולדת : על ראשיתם , תולדותיהם ואחריתם של שלוש מושגים מחוללי – לאומיות . האוניברסיטה הפתוחה . רעננה 2007 .
- יוגב , עינב ולינדשטראוס , גליה (עורכות) . תופעת הדה – לגיטימציה : אתגרים ומענים . המכון למחקרי ביטחון לאומי . תל – אביב 2017 .
- יער , אפרים ; שביט , זאב (עורכים) . מגמות בחברה הישראלית , כרך א . האוניברסיטה הפתוחה . רעננה 2001 .
- לייטמן , מיכאל . מבט לקבלה . הוצאת קבלה לעם 2006 .
- " ———— " . שני המאורות הגדולים : הרב קוק ובעל הסולם על גאולת ישראל . מהדורה שנייה . המכון למחקר ע"ש הרב אשלג 2007 .
- מזור , יוסף . ציונות , פוסט-ציונות והבעיה הערבית : אוסף מקורות ושלל דעות . גפן בית הוצאה לאור . ירושלים 2011 .
- נויברגר , בנימין . דת ודמוקרטיה בישראל . מכון פלורסהיימר למחקרי מדיניות . ירושלים 1997 .
- פדהצור , ראובן (עורך) . החברה בישראל והביטחון הלאומי . מרכז ש. דניאל אברהם לדיאלוג אסטרטגי , המכללה האקדמית נתניה . נתניה 2009 .
- פונד , יוסף . תנועה בחרבות : מנהיגות אגודת ישראל לנוכח השואה . הוצאת ראובן מס ירושלים . ירושלים 2008 .
- קורץ , ענת ; ברום , שלמה (עורכים) . הערכה אסטרטגית לישראל 2011 . המכון למחקרי ביטחון לאומי . תל – אביב 2011 .
- שוחט , אלה . זיכרונות אסורים : לקראת מחשבה רב – תרבותית . הוצאת בימת קדם לספרות 2001 .

٣ – המסות והמאמרים

- אבינרי , שלמה . האוטופיה הציונית של הרצל – חלום ושברו . קתדרה , כתב-עת לתולדות ארץ ישראל ויישובה , גיליון 40 , ירושלים 1986 .
- אופיר , עדי . שיבה כאוטופיה . סדק , כתב-עת לנכבה שכאן , גיליון 4 , יולי 2009 .
- אלרואי , גור . " מבקשי מולדת " : תנועת הליגה לארץ חופשית (הפריילנד ליגע) , היישוב ומדינת ישראל , 1956 – 1934 . עיונים בתקומת ישראל , כרך 15 , 2005 .
- בר – און , דן . שבין גרמנים , ישראלים – יהודים ופלסטינים . סדק , כתב-עת לנכבה שכאן , גיליון 1 , מאי 2007 .
- בר – און , מרדכי . פוסט-ציונות ואנטי ציונות : הבחנות , הגדרות , מיון הסוגיות וכמה הכרעות אישיות . בתוך : גינוסר , פנחס ; בראלי , אבי (עורכים) . ציונות – פולמוס בן זמננו : גישות מחקריות ואידאולוגיות . המרכז למורשת בן גוריון , אוניברסיטת תל-אביב , אוניברסיטת בן-גוריון 1997 .
- גביזון , רות ; עוז-זלצברג , פניה . ישראל כמדינה לאומית וליברלית . משפט ואדם – משפט ועסקים , כרך יד , ספטמבר 2012 .
- גורני , יוסף . האכזבה שבאה עם ההצלחה : שיחה עם פרופ' יוסף גורני . מפנה , כתב-עת לענייני חברה , יוצא לאור על ידי טבנקין ויד יערי , מס' 52 , דצמבר 2006 .
- מכמן , דן . משואה לתקומה ! משואה , לתקומה ? : ההיסטוריוגרפיה של הקשר הסיבית בין השואה להקמת מדינת ישראל – בין מיתוס למציאות . עיונים בתקומת ישראל , מאסף לבעיות הציונות , היישוב ומדינת ישראל , כרך 10 . המרכז למורשת בן-גוריון . שדה בוקר 2000 .
- סמוחה , סמי . המשטר של מדינת – ישראל : דמוקרטיה אזרחית , אי דמוקרטיה או דמוקרטיה אתנית . סוציולוגיה ישראלית , כתב-עת לחקר החברה הישראלית , כרך ב , מס' 2 . הוצאת רמות – אוניברסיטת תל-אביב . תל-אביב 2000 .

- פריזל , אביתר . החברה הישראלית והרעיון הציוני : תמורה והמשך . בתוך : גינוסר , פנחס (עורך) . עיונים בתקומת ישראל , כרך 8 . שדה בוקר 1998 .
- שוורץ , דב . הציונות הדתית ורעיון האדם החדש . ישראל , כתב-עת לחקר הציונות ומדינת ישראל – היסטוריה , תרבות , חברה , גיליון 16 , 2009 .

٤ – אתרי האינטרנט

- אור , עקיבא . אלטרנטיבה למדינה פסיכוטית . 2002 . ניתן למצוא ב : www.akiorrbooks.com/files/alternative.pdf . נכנס ב : 29 . 10 . 2017 השעה : 10 : 17 PM .
- לקסיקון הספרות העברית החדשה . ניתן למצוא ב : https://library.osu.edu/projects/ hebrew-lexicon/00495. נכנס ב : 13 / 10 / 2017. השעה : 14 pm : 5 .

ثالثاً : باللغات الأوروبية

- Agamben , Giorgio . Remnants of Aushwitz : The Witness and The Archive . Translated by Daniel Heller – Roazen . Zone Books . New York 1999 .
- Almog , Oz . The Sabra : The Creation of The New Jew . Translated By Haim Watzman . University of California Press . Berkeley , Los Angeles , London 2000 .
- Berkowitz , Michael . Zionist Culture and West European Jewry Before The First War . Cambridge University Press . Cambridge 1993 .
- De La Durantaye , Leland . Giorgio Agamben : A Critical Introduction . Stanford University Press . Stanford , California 2009 .
- F. Noble , David . Beyond The Promised Land : The Movement and The Myth . Between The Lines . Toronto , Canada 2005 .
- Gavron , Daniel . The Other Side of Despair : Jews And Arab in The Promised Land . Rowman & Littlefield Publishers , ILLC . London 2004 .
- Iver B. Neumann (Editor) . Regional Great Powers in International Politics . Macmillan Press . London 1992 .
- Masalha , Nur . The Bible and Zionism : Invented Traditions , Archaeology and Post – Colonialism in Palestine – Israel . Zed Books . London & New York 2007 .

- " _____ " . The Palestine Nakba : Decolonizing History , Narrating The Subaltern ' Declaiming Memory . Zed Books . London & New York 2012 .
- Meir-Levi , David . History Upside Down : The Roots of Palestinian Fascism and The Myth of Israel Aggression . Brife Encounters , Encounters Books . New York , London 2007 .
- Pedahzur , Ami ; Perliger , Arie . Jewish Terrorism in Israel . Columbia Studies in Terrorism and Irregular Warfare . Columbia University Press . New York 2009 .
- Pianko , Noam . Jewish Peoplehood : An American Innovation . Rutgers University Press . New Brunswick , New Jersey and London 2015 .
- Sharvin , Keren ; Halperin , Eran (Editors) . A Social Psychology Perspective on The Israeli – Palestinian Conflict , Celebrating The Legacy of Danial Bar – Tal , Vol II. Spring International Publishing . Switzerland 2016 .
- Shavit , Yaacov . The New Hebrew Nation : A Study in Israeli Heresy and Fantasy . Frank Cass . Totowa , USA 1987 .
- Shohat , Ella . Israeli Cinema : East / West and The Politics of Representation . University of Texas Press . Austin 1989 .
- Yakobson , Alexander and Rubinstein , Amnon . Israel and The Family of Nations : The Jewish Nation – State and Human Rights . Routledge , Taylor & Francis Group . London and New York 2009 .
- Zalloua , Zahi . Continental Philosophy and The Palestinian Question : Beyond The Jew and The Greek . Bloomsbury Academic . London and New York 2017 .